


Bibliotheca Alexandrina
02778264

لبنان

في الحرب

او ذكرى الحوادث والمظالم في لبنان في الحرب العمومية

١٩١٤-١٩١٩

بقلم

الخوري انطون يمين اللبناني

المطبعة الادبية — بيروت

اهداء الكتاب

الى سيادة الحبر العلامة الغيور الشهم الهمام
المطران يوسف دربان

مولاي

في ايام كان فيها لبنان ضحية دامية من ضحايا الفظائع يئن من هول المجاعة والاستبداد ويقاسي جميع اصناف المظالم كنت ايها الشهم الهمام المفضال بما منحك الخالق من عواطف الشفقة والغيرة عَلَى وطنك تبذل كل غالٍ ونفيس في سبيل تخفيف الضائقة عن صدر المكروبين من بقية اللبنانيين فصحت بالكون مستنديًا اكفّ ذوي اليسار حاثًا عَلَى الاسراع الى تخليص بني قومك وعشيرتك من مخالب الموت الذي كان يتهددهم في كل ساعة · فلبى نداك من ألف الاحسان وتعوّد اعانة الانسان · وهكذا بفضل حسن مساعيك احييت من لا ينسون لك مأثرة

ولمّا كنت بعد الاتكال عليه تعالى وطّنت النفس على نشر كل ما علق بالذهن من الحوادث التي طرأت على لبنان في ابّان تلك الحرب الطاحنة رأيت من باب الواجب ان اهدي اليك هذا السفر الوضيع اقرارًا بعميم افضالك وتخليدًا لجليل اعمالك

فتكرم مولاي واقبل هدية ابنٍ انت تعلم مقدار تعلقه بشخصك الكريم فانه يحب ان يظل مشمولاً بانظارك وهو يدعو في كل آنٍ باطالة ثمين حياتك

الخوري انطون يمين

المقدّمة

«اذكرونا ايها الاحياآء» هذا هو الصوت الذي يرن صداه في اودية لبنان من شرقيه الى غربيه ومن شماليه الى جنوبيه

صوت صارخين من بطون الوحوش ومن اجواف البوم والغربان «اذكرونا ايها الاحياآء» . نحن لبنانيون مثلكم نحن ضحايا المظالم مظالم الاتراك السفاحين . نحن ضحايا المطامع مطامع الاغنياء الظالمين الذين احتكروا قوتنا ومطامع المتمولين القساة الذين اقرضونا اموالهم بافحش رباآء وسلبونا بيوتنا واملاكنا وقبضوا عَلَى ارواحنا . نحن ضحايا الجوع الفضّاح والاوبئة القتالة

لم نرزق لسوء طالعنا من يخيط اكفاننا ولا من يدفن عظامنا ولا من يحفر قبورنا ولا من يبل ترابنا بدمعة من عينيه فقولوا غنا عَلَى الاقل كلمة عبرة وذكرى . حرام عليكم ان لا تدونوا لنا تاريخاً يسجل الفضيحة والعار لقاتلينا الغاشمين ويسوّد صفحات حياة اولئك المستكلبين من ابناء هذا الوطن التاعس .

كلّموا اخواننا في المهجر عن هول تلك الليالي التي لم تقع عَلَى مثلها عيون السالفين وعن تلك الفظائع التي فاقت كل ما روته تواريخ الاقدمين كلّموهم عن تلك المظالم التي محت مظالم نيرون وعن تلك المشاهد التي ترتجف لذكرها الصخور الصماء . قفوا بالربوع الدارسة المعاهد وابكوا العزّ وبنيه والمجد وذويه

حتى ينبت الآس عَلَى القبور · ابكوا وطناً عزيزاً خلا من ذويه · ابكوا جسوماً ضاوية ملأت جثثها الطرقات والساحات والسهول والوديان · ابكوا الآباء يدفنون ابناءهم بايديهم · ابكوا الامهات تموت صغارهن متلهفين الى نقطة من حليبهن · ابكوا الاطفال يتلقون دموع المراضع يحسبونها البانا · ابكوا اليتيم والارملة والعاجز وابن السبيل تسمعون انينهم المحزن في زوايا الغابات وضفات الانهار والآجام · ابكوا العذارى يبعن العرض بكسرة من الخبز الاسود · ابكوا ابطال لبنان احتفروا بايديهم اجداث مجدهم القديم · ابكوا الشرف أفل نجمه عن سماء هذه البلاد · ابكوا الحنان اقتلع الطمع شروش شواعره من قلوب الموسرين · ابكوا لبنان وارزه وصخوره وينابيعه

سمعنا رنة هذا الصوت الذي اصاب منا الفؤاد صوت اخواننا اللبنانيين شهداء الحرب المشؤومة لا اعادها الله عَلَى عباده فقمنا نلبيه عَلَى علمنا بقصر باعنا ومع اقرارنا بعجزنا فكتبنا عن لبناننا العزيز الحزين كل ما علق بذهننا من الحوادث التي طرأت عليه اثناء سنوات اربع قوّضت اركان مجده واذلت عروش عزه غير هيابين في سرد الحقيقة قوة من باعوا دينهم بدنياهم وكانوا مع الاتراك الظلمة الضربة القاضية عَلَى جبلنا المنكود الطالع

لبنان قبل الحرب

لبنان جبل سعيد بعذوبة مائه بنقاوة هوائه بجودة مناخه

لبنان منكود الطالع بتربته تعيس برجاله شقي بزعمائه مسكين باغنيائه ضعيف باقويائه

شبّ لبنان وشاب عَلَى الوشايات والمنازعات في سبيل الوظائف . هلك في سبيل الرشوة فرغ من السكان او كاد من جرآء ظلم الحكومة البائدة وضغطها عَلَى الفقير الحقير ومن جرآء استبداد الرئيس بالمرؤوس والقوي بالضعيف

علم اللبناني الوضيع حق العلم ان صخور جبله لا تدرّ له لبناً وعسلاً فآثر ركوب الاخطار الهائلة وتحمل المشاق القتالة عَلَى البقاء في ارضٍ كبيرها يبتلع صغيرها ولا ضمير يؤنب ذلك الكبير عَلَى سوء عمله ولا رادع يردعه عن ظلمه

خبر اللبناني المتنور بعقله الغني بمعارفه الفقير بجيبه ان علومه وهو فارغ الكيس لا تجديه نفعاً وان معارفه لا تكسبه فلساً وان عقله الثاقب لا يعزّزه نفساً فغادر وطناً تسعون بالمائة من كباره جهلة اميّون مفسدون مستبدون معجبون بنفوسهم

كان ذلك اللبناني الضعيف يقضي ايامه عائشاً تحت ظل سيّدٍ قويّ قاسي القلب خالٍ من شواعر الانسانية وكان هذا القوي يستعبده بانواع

المشقات والمتاعب مجهداً اياه النهار بكامله وجانباً من الليل طويلاً · وكان ذاك الضعيف المسكين يحسب ذاته سعيداً اذا ما حصل في آخر الامر على رضى ذاك السيّد الظالم

فحص المزارع اللبناني امره فوجد ان ابواب الارتزاق بجملتها موصدة بوجهه فقال في نفسه · « لا غادرنّ مسقط رأس فيه الطبيعة تبخل عليّ بعطاياها والارض بكنوزها وخيراتها والقوي يهضم لي كل حق والغني يطمع عليّ بفلس اكسبه بعد تجشم عرق القربة والحاكم المستبد يظلمني ارضاء لخاطر زيد وبكر· يقولون لي : ان العدالة في مصر وفي اميركا ضاربة اطنابها وان الاشغال جيدة حسنة · خير لي ان اركب البحار واتوطن هناك حيث ينفعني الكدّ وحيث يمتلئ كيسي من الاصفر الرنان الذي به تعلو منزلتي بين ابناء جنسي · »

قال المتعلم اللبناني : « بذل الاهل المصاريف الباهظة في سبيل تثقيفي ولا حيلة لي في هذا الجبل الصخري الى تحصيل معاشي وكسب المال الذي يمكني من اعالة عائلتي وسدّ حوائجها و يظهر ان الوظائف الوطنية انما وجدت في لبنان لغير اربابها وانه لا بد في سائر الاحوال والظروف من مراعاة خاطر القوي ومحاباة الغني وتمليق الحاكم الخ · الخ · · · خير لي والحالة هذه ان اغادر وطناً اعيش فيه ذليلاً مهاناً · أحرِ بي ان اسافر الى مصر او الى اوربا او الى اميركا حيث استخدم عقلي وقلمي في سبيل مصالح من ورائها ارباح بها يسمو مقامي بين اقراني · اودعك ايها الوطن العزيز غير آسف على شيء ولا على

احد اودعك تاركاً فيك الوظائف الى الشيخ والمير والبك الى الغني والكبير وهو صغير الى المتعجرف والمستبد وهو على قول المثل (لا يعرف كوعه من بوعه)

غادر لبنان كل من الفقير والمتوسط والمتعلم تاركين في جبلهم عدداً قليلاً من سكانه بعضهم غني قوي و بعضهم فقير ضعيف · تركوا هذين الصنفين من الاهالي يمثلان دور الهر والفأر : قوي يسحق الضعيف ويعمل على ابتلاعه ويدأب في سلبه امواله واملاكه · وقد ظلت الحال على هذا المنوال الى يوم فيه شبت نار الحرب الطاحنة فازداد اغنياؤنا الافاضل شرًّا في خلالها · وسترى ذلك جلياً وانت تقلب صفحات هذا التاريخ الصغير

تركيا في الحرب

(في ١ ت ٢ سنة ١٩١٤)— دخول الاتراك الى جبل لبنان

(في ٢٢ ت ٢ سنة ١٩١٤)

ما غربت شمس اليوم الثامن والعشرين من شهر حزيران من سنة ١٩١٤ حتى دوى في الخافقين صدى مقتل ولي عهد النمسا الارشيدوق فرنسوى فرديناند والارشيدوقة قرينته فتكت بهما يد اثيمة يد التلميذ برنسيب الفوضوي في زاوية شارع رودلف في سيراجيفو عاصمة البوسنه والهرسك

فكان لهذا المصرع الأليم رنة حزن في قلوب النمسويين اجمع فقامت حكومتهم وقعدت من جراء ذلك وحرّشتها الدولة الالمانية عَلَى مملكة السرب ملحة عليها بوجوب الاخذ بثأر القتيلين المشار اليهما · وما كان اليوم الثامن والعشرون من شهر تموز من السنة نفسها حتى اعلنت النمسا عَلَى سريا حرباً جرّت وراءها تلك الحرب العمومية التي حلت ويلاتها وبلاياها باوروبا والعالم باسره وقلبت الدنيا من حال الى حال

وقد كنا في بادئ الامر نظن ان الدولة التركية لا تخوض غمار تلك الحرب المشؤومة بما انها كانت بعد خروجها منكسرة من حرب البلقان مفتقرة الى الراحة والسكينة لتحسن حالة رعاياها وتنظم ماليتها وتنمي ثروتها · غير انهُ هو الجهل يؤدي بصاحبه الى الهاوية فان رجال تلك الدولة القابضين عَلَى زمام أمورها وهم ليسوا عَلَى شيء من الحنكة والدراية غرّهم الامل في حسن نيات المانيا او بالاحرى غرّهم الطمع بكسب الدرهم فتهوروا في الحرب رجاء اصابة المغنم فكان مثلهم مثل معتوه القى بنفسه من علٍ فلم يشعر بألم السقوط الاّ بعد ان صادم ارضاً رضت عظامه رضاً

ختم الله عَلَى قلوب اولئك الزعماء وعَلَى سمعهم وجعل عَلَى بصرهم غشاوة فنسوا ما اهلكوا من المال واراقوا من الدماء في الحرب البلقانية فاعدّوا العساكر وأمروا بجمع الذخائر وبدأوا يعاملون الاجانب المقيمين في بلادهم بالغلظة والخشونة · واول خطوة كانت في سبيل العداوة أنهم أعلنوا الغاء امتيازات

الاجانب [(١)] واقفلوا الدوائر البريدية المختصة بهم (في ١١ ايلول سنة ١٩١٤)

وما طلع هلال تشرين الثاني حتى اعلنت تركيا انضمامها الى الدول المركزية فدقت طبول الفرح في برلين وصار مهرجان عظيم في كل من مدن الولايات العثمانية . ونادى المنادي في الاسواق : الى الحرب ! الى الذود عن الوطن ! الى الدفاع عن الدولة ! وما بلغ الاذان البيروتية صوت النفير العام الآمر بحشد الجنود وتعبئة العساكر حتى امتلأت القلوب حزناً ورعباً لا سيما وقد كان القوم لا يزالون يتذكرون انهزام الترك وانخذالهم في الحرب الطليانية وفي الحرب البلقانية فمنهم من اختباء في بيت نسيبه ومنهم من لجأ الى دار صديقه ومنهم من فرّ الى لبنان حيث قطن صومعة منفردة او عاش في دير من اديار الرهبان الخ . ومنهم من ساقه سوء حظهِ الى الوقوع بين انياب اولئك الطغاة الظلام فقاسى من الويلات ما يفوق الوصف والهول

(١) صورة التلغراف الوارد من نظارة الداخلية لولاية بيروت (وكان الوالي يومئذٍ بكر سامي بك) بحق الغاء الامتيازات الاجنبية المؤرخ في ٢٨ اغستوس سنة ١٣٣٠ نومر ٤٩٧

صدرت الارادة السنية السلطانية بتاريخ ٢٧ اغسطوس سنة ٣٣٠ بقرار مجلس الوكلاء قاضية برفع والغاء المساعدات والحقوق المالية والاقتصادية والعدلية والادارية المسماة (قابيتولاسيون) والجارية بحق التبعة الاجنبية المقيمين في البلاد العثمانية وذلك اعتباراً من تاريخ ١٨ ايلول سنة ٣٣٠ على ان تجري بحقهم المعاملة وفقاً لاحكام حقوق الدول العمومية .

ولقد هاجت بحار الافكار في لبنان وبيروت بما رأوا من تشديد الحكومة بمسألة القرعة العسكرية وتجنيد كل من كان قادراً عَلَى حمل السلاح بلا تفريق بين المذاهب والاديان · وازدادت الخواطر قلقاً يوم دخلت لبنان العساكر التركية وتفرقت في نواحيه (في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٤)

وفي تلك الآونة ابرق جمال باشا من الشام الى الاستانة انه بعد مقاومة عنيفة وخسارة لا يُعتد بها تمكّن من الدخول الى جبل لبنان ·

ولا شك ان ذاك السفّاح كان يعني بتلك المقاومة الرياح العاصفة والبرد القارس والامطار الشديدة والثلوج المتراكمة عَلَى قمم لبنان يوم وصول عساكره فقد مات منهم من قوة البرد ما يربو عَلَى ٣٠٠ جندياً · وساعة دخول اولئك الجنود الى بكفيا شاهدنا بأُمّ العين حالتهم التعيسة السيئة التي تدعو الى الشفقة فمنهم من كان بلا رداء ومنهم بلا حذاء وآخر بطقم ممزّق وآخر باثواب قذرة رثة الخ الخ ·[1]

(١) علمنا عن مصدر رضا باشا انه بعد وصول جمال باشا الى الشام واستلامه القيادة العليا من زاكي باشا عقد مجلساً حربياً قرر فيه وجوب الزحف على ترعة السويس لاسترجاع مصر من حوزة الانكليز

وقبل ان يزحف بعساكره الى تلك الترعة رأى ان التدابير الحربية تقضي عليه في بادئ الامر ان يحتل لبنان ويقيم الاستحكامات على زواياه لانهُ كان يخاف من ثورة اللبنانيين عليه فيلجأون الى الفرنسيس و ينزل هولاء الى ارض لبنان بعض الضباط والجنود يمدونهم وذخائرهم الحربية فيقطعون خط الرجوع على الجيش العثماني الزاحف الى الترعة ·

حلّ اولئك العساكر في بادئ الامر في زحله وعاليه وبكفيا وبحرصاف وبحنس وبرمانا وبيت مري . وما طال بهم الامر حتى انتشروا في اهمّ القرى الساحلية حيث اقاموا المخافر بالقرب من الشطوط البحرية . وهكذا اصبح لبنان ضمن نطاق عسكري مستحكم الحلقات وهدفاً لسهام المظالم .

باكورة المساوئ في جبل لبنان

صدرت اوامر جمال باشا فسارت جماعة من جنوده من الشام الى زحلة ومن زحلة الى بكفيا . فلما انتهوا الى محلة في الجرود تدعى الليش وكان ذلك تحت وابل الامطار ثقلت عليهم وطأة البرد فمات ما بين الليش ومجدل عنطورة كل من لم يقوَ عَلَى احتماله. فتجاوز عدد قتلى البرد ٣٠٠ جندياً كما افدنا سابقاً . فعلم بالامر اهالي عنطورة المتين وكانوا اقرب اللبنانيين الى محل الحادثة فساروا وحداناً وزرافات الى قمة الجبل لا يردعهم الثلج ولا يثبطهم البرد عن عزمهم فساعدوا الجنود الاحياء عَلَى دفن موتاهم تحت كتل الثلوج وجاؤوا بمن سلم الى قريتهم حاملين عَلَى ظهورهم عدداً عظيماً من الجنود الذين أثّرت عليهم

وقال لنا المخبر ان جمال باشا اختار خصيصاً الدخول الى لبنان في يوم شتاء هائل حتى لا يبدي الاهالي ادنى مقاومة في وجه عساكره

العواصف الشديدة في تلك القمة العالية · وبعد ان بلغوا القرية فتحوا كل المنازل والبيوت لايواء من سمامم جمال باشا فاتحي لبنان واعدوا لهم الآكل وجهزوا لهم مواد التدفئة وبذلوا كل غالٍ ونفيس في سبيل راحتهم · ولعمري قد نال العنطوريون اعظم مكافأة عَلَى معاملتهم هذه فان اولئك الجنود الكريمي الاخلاق فتشوا بيوت عنطورة واخذوا منها كل ما راق لنظرهم من امتعة فضية واواني نحاسية · ومما نخصّ بالذكر ان احد العنطوريين « واسمه حنا نصر » كان قد استدرك الامر فخبأَ عَلَى طوان بيتهِ بعض الاشياء الفضية الثمينة التي كان استجلبها معه من الاقطار الاميركية فشعر بذلك احد الجنود فانتشل المخباء بعد ان اوسع حنا شتماً واهانةً (١)

في صباح اليوم التالي أمر القائد عساكره بمغادرة عنطورة وكانت الامطار لا تزال غزيرة والعواصف شديدة فساروا حتى وصلوا الى ضهور الشوير وهناك وردت اليهم اصناف المآكل من الاديار والقرى المجاورة فأكلوا وارتاحوا وجدّوا المسير فبلغوا بكفيا حيث فُتحت لهم الفنادق والمنازل الكبيرة · وقد توارد اغنياء القوم من سائر الانحاء للسلام عَلَى قائد الجنود علي

(١) وقد رُفعت شكوى على العنطوريين الى محكمة قضاء المتن مؤداها انهم سلبوا اسلحة الجنود الذين ماتوا ودفنوا تحت الثلج فسيق جمهور منهم الى الجديدة (مركز القضاء) فحوكموا وتبررت ساحتهم

رضا البلانلي وكان شاميّ المولد عربي العنصر (١)

اقبلوا اولاً للسلام عليه ثم كرّروا الزيارة واكثروا التزلّف منه والتحبب اليه بما كانوا يفرضون على الاهالي الذين يأتمرون باوامرهم من تقديم الخبز والطعام والفحم والحطب والحصر والفرش الى الجيش الذي كان تحت قيادته

(١) اخبرنا علي رضا البلانلي انه بعد وصوله بعساكره الى زحلة وكان ذلك يوم شتاء هائل ارسل الى مقام القيادة العليا في الشام برقية فيها يبين رداءة الطقس وكثرة الثلوج المتراكمة على قمة الجبل الذي كانت جنوده مزمعة ان تجتازه واخطار الرياح والزمهرير التي كانت تتهدّد اولئك الجنود المساكين في اجتيازهم قمة الجبل · فوردت اليهِ من القيادة المذكورة برقية معجلة تأمره بوجوب دخوله الى الجبل باسرع ما يمكن وتقول له ان الطقس الذي كان يراه هو معاكساً لسير الجنود هو ذاك الطقس المطلوب الذي تراه القيادة العليا مناسباً لدخول العساكر الشاهانية ارض لبنان

قال البلانلي : انتهت اليّ تلك الاوامر فخطبت بالجيش مبيناً له قوة بأس اللبنانيين وشهرتهم البعيدة من البسالة والشجاعة موجباً عليه الاستماتة في سبيل خدمة الدولة واخضاع اللبنانيين فيما لو اشتمّ منهم رائحة العداوة للسلطنة التركية · غير ان العجب أخذ منا كل مأخذ بعد ان قطعنا اعالي الجبل وصادفنا كل مجاملة عند الاهالي ·فقلنا : وماكان اعتقادكم يا بك بلبنان واللبنانيين؟ قال : كنا نحسب (هكذا لقنونا في القيادة العليا) ان في لبنان المعدات الحربية الكافية للقيام بحركة معاكسة للجيش الهمايوني وان اللبنانيين ينخون ببوق الثورة حالما يشاهدون العساكر منتشرة في اراضيه · (هذا ما قاله لنا بالحرف علي رضا البلانلي اثناء مقابلتنا له في بيت شباب في يوم كان مدعوًّا لمناولة طعام الظهر عند احد الوجهاء) وهذا ما يدلّ على صدق ما نقله الينا احد المقرّبين الى رضا باشا من ان جمال باشا كان يخاف من نشوب الثورة في لبنان

فان رداءة الطقس حين وصول الجنود الى لبنان وعدم تنظيم سير السكة الحديدية بين الشام وبيروت كانا يحولان دون وصول الحاجيات العسكرية بالسرعة المطلوبة . فمن جرّاء ذلك اضطر اهالي القرى المجاورة بكفيا ان يقدموا كل لوازم المعيشة للعسكر مدة اسبوعين واكثر . ولم يكن الجنود يكتفون بعطايا الاهالي فانهم كانوا ينتظرون سواد الليل ليغادروا مراكزهم بالاتفاق مع حراسهم وعَلَى غرّة من قائدهم وكانوا يتفرقون في القرى والمزارع ينهبون المنازل ويعتدون عَلَى من يجدونه في طريقهم . فسادَ الخوف وعمَّ الاضطراب في النواحي القريبة من المراكز العسكرية . وشكا الاهالي سوء الحالة الى الاغنياء واصحاب النفوذ وذوي الوظائف اللبنانية طالبين اليهم ان يعرضوا الامر لمن يلزم . لكن واحسرتاه ! صُمّت الآذان وانعقلت الالسنة . فقد كان الاغنياء والمتوظفون يؤنبون الشعب عَلَى تذمره ويأمرونهُ بالسكوت عن مساوئ العساكر اكراماً لخاطر القائد . عَلَى انهم لو لبوا نداء الشعب المسكين لكفّ الجنود اذاهم وذلك نظراً لكرم اخلاق ذاك القائد اللين العريكة الذي كان لا ينفك ينهى عساكره عن الاعتداء عَلَى الاهالي ..

بلاغ جمال باشا لاهالي لبنان

وما مضت الايام القلائل على وصول العساكر الى جبل لبنان حتى اذاع جمال باشا البلاغ الاتي بيانه

بلاغ لاهالي لبنان

السلام عليكم يا أهل لبنان المعدودة من اثمن اجزاء الوطن العثماني اني لادعوكم للالتفاف حول العرش العثماني للمدافعة عن الوطن المهدد بخطر غارات العدو الخارجي

ان احكام النظامات التي احسنت بها الدولة عليكم لتأمين رفاهيتكم ستبقى محفوظة من حيث مباديها الاساسية واني موكل للمحافظة على هذه النظامات . وبصفتي احد مواطنيكم العثمانيين آمل ان ارى اللبنانيين يقدرون هذه النعمة حق قدرها فيرسمون لانفسهم خطة تناسب اهمية هذه النعمة

بما ان وجود الادارة العرفية في جميع انحاء الممالك العثمانية يشمل لبنان ايضاً وبما ان وجود الادارة العرفية يستدعي تأجيل تطبيق بعض احكام القوانين العدلية والملكية موقتاً ما دامت الادارة العرفية اودّ أن اعلن لكم هذه الحقيقة بكل صراحة واخلاص منعاً لحدوث اقل سوء تفاهم

ان جميع الاحكام التي لم تقيد باحكام الادارة العرفية وعلى الخصوص المعافاة من الخدمة العسكرية ومن دفع الويركو ستبقى مرعية رغم وجود الادارة العرفية

ولقد ارسلت مفرزة عسكرية من الجند للدفاع عن لبنان لدى الحاجة ضد غارات العدو الخارجي وللمحافظة على شرف الاهالي وحياتهم واموالهم . واني لأدعو اهل لبنان فيما اذا حاول العدو القيام بأي مسعى ضد سواحل لبنان وبيروت للانطواء تحت العلم الممثل للجيش الهمايوني ومشاركة المفرزة في تضحية النفس والنفيس لاحباط اعمال العدو . ولتأمين هذه الغاية يجب العمل بمقتضى اوامر قومندان هذه المفرزة العسكرية وتلبية طلباته

ان كل من حاول من اللبنانيين كائناً من كان الاخلال بسلامة المملكة والأمن العام باقل حركة وكل من ابدى اقل مظهر من مظاهر العطف والمحبة نحو اعدائنا الفرنسيس والانكليز والروس يحاكم فوراً امام ديوان حرب عرفي ليلقى جزاءه من العقاب . وبما ان قومندان المفرزة العسكرية الميرآلاي رضا بك سيعين في بلاغ آخر سينشره جميع انواع وصور الاعمال والحركات الماسة بسلامة المملكة اخطر جميع الاهالي باجتناب هذه الافعال كل الاجتناب

ان الحكومة المحلية ستحتل جميع المؤسسات والمكاتب التابعة للدول المخاصمة لنا الكائنة بجبل لبنان وتحول حالاً كل ما لم ترَ الجهة العسكرية لزومه لاقامة الجند موقتاً الى معاهد علمية وطنية لترقية المعارف اللبنانية وعقب

انتهاء الحرب يسلم الجزاء المحتل بالجنود لتحويله لهذه الغاية ايضاً هذا واني في الختام لابتهل الى الحق سبحانه وتعالى ان يمطر على لبنان وابل السعادة والرفاهية ويرشده الى سبيل الرقي والفلاح في ٢٨ تشرين الثاني سنة ١٣٣٠

قائد الجيش الهمايوني الرابع وناظر البحرية

احمد جمال

ولائم الوجهاء والمتوظفين للقائد

الاجتماع في سراي بعبدا بامر محمد رضا باشا · نفي اثني عشر وجيهاً من اللبنانيين الى القدس في ٣١ كانون الاول سنة ١٩١٤

بينما كان الاهالي يئنون من مساوئ الجنود كان بعض الوجهاء وبعض المتوظفين يتنافسون في تكريم القائد باعداد الولائم الفاخرة والليالي المطربة · فخيولهم المطهمة تحت أمره وعرباتهم الفخيمة رهينة اشارته · يتنقل من قرية الى قرية ومن دار الى دار · العرق فاخر والخمرة اللبنانية معتقة · الوان الطعام لا تحصى واصناف الحلوى لا تُعد · آلات الطرب متوفرة واصوات الاوانس شجية · ولم يخجلوا ان يقولوا «ملائكيَّة» · السهر الى الفجر · من الكونياك للعنبري · بلا شراب الدنيا خراب · النقول من كل فن خبر · · ·

كان البعض من حضرة ذواتنا يتفننون بالولائم والمطربات حباً بالقائد وكان محمد رضا باشا مدير دفة الامور في الديوان العرفي يفكر في كيفية تعذيب الشعب اللبناني طبقاً لرغائب جمال · ففي اليوم الواقع في آخر كانون الاول سنة ١٩١٤ اوعز الى اوهانس باشا متصرف لبنان في ذاك الحين ان يدعو الى سراي بعبدا الاكليروس والمأمورين والمشايخ واعيان اللبنانيين

وبعد وصولهم الى السراي ترأس رضا باشا الاجتماع وألقى خطاباً فيه حث الجميع عَلَى الاخلاص للدولة العثمانية وعَلَى وجوب المدافعة عن حقوقها والوقوف بوجه الاعداء فيما اذا حاولوا احتلال الجبل ·

وبعد ان انهى خطابه قال للمتصرف : « ان فريقاً من ذوات لبنان يعيثون في البلاد كل فساد بتشيعهم الى دول الاعداء · » واصدر امره بوجوب ابعادهم الى القدس الشريف عبرة لكل لبناني تقوده جرأته الى التلفظ باسم فرنسا او انكلترا او روسيا· فانكر اوهانس باشا هذا العمل عَلَى محمد رضا فاستشاط هذا الاخير غضباً عَلَى المتصرف قائلاً له بكل حدة : « لا يخفى عليك اننا الآن في حرب وان الاحكام العرفية تشمل لبنان · انا المميت وانا المحيي · واعلم ان حكمي هذا انما هو باكورة اعمالي العسكرية في لبنان · وسينفى بلا شفقة كل لبناني تقع عليه شبهة انحياز الى دولة من دول الاعداء · » فاوعز اوهانس باشا المخلص للبنان الى اولئك المحكومين وكان عددهم اثني عشر ان يمتثلوا الاوامر بالسرعة المطلوبة وبعد ان تبلغوا الحكم الصادر بحقهم ساروا

الى القدس يودعهم الاهل والمعارف بالدموع السخينة · ومن ذاك الحين تحولت افراح اكابر اللبنانيين الى اتراح وصاروا ينتظرون من ساعة الى ساعة وصول الامر القاضي بابعادهم عن الوطن العزيز · وقد اتضح جلياً انه كان للامير شكيب ارسلان اليد الطولى في الوشاية على اللبنانيين (١)

الجنود في السواحل

سلطة اوهانس باشا الوهمية — ديوان عرفي عاليه واعماله وعمّاله

وصل فاتحو لبنان الى بكفيا تحت قيادة علي رضا البلانلي كما افدنا سابقاً وبعد ان ارتاحوا بضعة ايام من عناء الطريق ارسل قائدهم بعضاً منهم الى

(١) عندما عرضنا على لفيف من معارفنا افكارنا بشأن نشر الحوادث والمظالم في بلادنا قال لنا احدهم : « ماذا تريد ان تكتب عن محمد رضا باشا ؟ » قلنا : « ما نعرفه عنه » فقال لنا فريق من اصدقائنا : — ان رضا باشا كان محباً للبنان وكان دائماً يعاكس كل فكر من افكار السوء الموجهة ضد هذا الجبل · وقال فريق آخر · ما قابلنا مرّة محمد رضا الاّ وكان سكران فلم نتمكن من ان نحكم بحبه او بغضه للجبل · وقال فريق غيرهم ان محمد رضا باشا كان في اول امره طيب السريرة لا يعرف ما هي الرشوة ولا ما هو الظلم غير انه لما كثر عدد المقربين اليه من ابناء هذه البلاد فسدت اخلاقهُ واصبح يحب المال كبقية الاتراك · وذهب فريق آخر غير هذا المذهب · بناء عليهِ لم نصادف سبيلاً يمكننا من الحكم على هذا الشخص كما هو

بحرصاف وبعضاً الى بحنس وبعضاً الى برمانا وبعضاً الى بيت مري ووزّع منهم فرقاً في سواحل لبنان من جنوبيه الى شماليه فاقاموا المخافر عَلَى الشطوط البحرية فثقلت وطأتهم عَلَى الاهالي بما اظهروه من التشديد عليهم والتضييق فكانوا يمنعون السكان من انارة ضوء في السهر ويسجنون الى الصباح كل من ساقه نحسه الى المرور قريباً من مخافرهم بعد غروب الشمس

وقد اتفق لي مرة انني كنت نازلاً من بيت شباب الى بيروت وكان بمعيتي صديقي نعوم بطراني البيروني فبلغنا مخفر نهر الموت بعد غروب الشمس بربع ساعة فتصدّى لنا خمسة من الجنود المحافظين وقالوا لنا: «يسق! لاذهاب الى الامام ولا اياب الى الوراء. لا بد لكما من قضاء ليلتكما هنا.» وكان ذلك في احدى ليالي الشتاء الباردة. لا فراش لنا ولا غطاء. فحرنا في الامر. اخذت اخاطبهم ملاطفاً ولكن هل يلاطفون الحجارة الصمّاء؟ طلبت ان اقابل زعيمهم. منعوني. صحت بهم باعلى الصوت. سمع الزعيم وكان قاطناً في الطابق العلوي فأمرهم ان يصعدوني مع رفيقي الى غرفتهِ. وبعد اخذ ورد مع الزعيم نحن بالعربي وحضرته بالتركي علمنا ان لا سبيل الى التخلص في تلك الليلة الملعونة. وكنت حاملاً قزازة من العرق المثلث وصندوقاً كبيراً من السيكارات الجيدة. ناولته سيكارة فلم يرفض. طلبت اليه ان يتكرم علينا بقدح ففعل. سكبت له عرقاً فشرب. تركت عَلَى طاولته صندوق السيكارات فاطلق سبيلنا

ولا تسل عن تعدياتهم المتواصلة عَلَى النساء والعذارى وسلبهم ونهبهم كل ما راق لاعينهم بلا منازع ولا معارض · داسوا كل حق وخرقوا كل نظام وبدلاً من ان يسود الامن في تلك الايام عمَّ الخوف والاضطراب كل الجبل من جرَّآء خشونة اولئك العساكر الذين ملأوا البلاد جوراً وفجوراً

هاج الاهالي وماجوا وعلا صراخهم حتى وصل الى الفضاء ورفعوا الامر الى المتصرف غير انهُ ويا للأسف كان اصبح ذاك المتصرف حاكماً بالاسم واصبحت معهُ سلطته وهمية لا تأثير لها ولا نفوذ· الحق للسيف · ولما شعر الجنود وضباطهم بضعف الاهالي وتحقق لديهم وهن القوة الحاكمة تفاقمت شرورهم وملأت فظائعهم سماء لبنان وارض لبنان · استباحوا كل ماشية تدب في ذاك الجبل· استباحوا المنازل واثاثها والاملاك واغراسها· استباحوا ويا لهم من برابرة العذارى وامهاتهنَّ· الارض والعرض خاضعان لصولتهم · تيار من الذئاب الخاطفة والوحوش الكاسرة في حظيرة من الاغنام الوديعة · الى الله شكوانا !

ومن مخاوف الجنود ومساوئهم الى مخاوف ومساوئ ذاك الديوان العرفي الذي تشكل في عاليه حالاً بعد وصول العساكر التركية الى جبل لبنان ذاك الديوان الذي سماه بعضهم ديوان الخسة والدناءة والذي لقبه غيرهم بديوان الظلمة السفاحين ذاك الديوان الذي نقول فيه هو ديوان ضمَّ اليه وحوشاً تقضم لحم الحيوان وتأوي الى غاب القسوة والجفاء · ديوان ضمَّ اليه

اظلم خلقٍ صبرنا عَلَى عتوّهم صبراً لا تحمله الجمال بل لا تقله الجبال · ديوان ضمّ لليه اعوان الشر واعداء الخير الذين جعلوا ابناء لبنان وسورية بين شريدٍ بادٍ وموجعٍ ثكلان· ديوان سام اللبنانيين والسوريين انواع العذاب والظلم والاضطهاد· ديوان مزّق اعضاؤه برقع الحياء وصرّحوا بما تضمره قلوبهم من الحقد والبغض لابناء هذه البلاد فحكموا عَلَى البعض منهم بالاعدام وعَلَى الآخرين بالنفي وعَلَى الآخرين بالاشغال الشاقة او السجن المؤبد الخ الخ ···

جلس ارباب هذا الديوان عَلَى منصّة الاحكام واتخذوا لهم اعواناً من الجنود وضباطهم وكثيرين من اللبنانيين الذين اشتهروا في كل الادوار والاطوار بتزلفهم الى الحكام بالتمليق والنفاق فاشتدت الجاسوسية في ربوعنا حتى حسبنا ان تحت كل صخر لبناني عين واشٍ وفي كل نسيم لبناني اذن نمّام

وما بين مطلع شمسٍ ومغيبها كنا نسمع ان فلاناً سيق الى عاليه لاجل لفظة بسيطة خرجت من شفتيه وان فلاناً طُلب الى ذاك الديوان لاجل جريدةٍ وردت اليه من المهجر فيها رائحة طعن بالاتراك وان فلاناً سيق مكبلاً بالقيود لاجل كلمة مبهمة او فقرة معماة وُجدت في كتاب مرسل اليه من وراء البحار فكان اخفّ ما يلقى هناك اشدّ ما يمضّ· فكنا نتنهد من الآلام ونموت من الخوف ولم يكن فينا من ينبس ببنت شفة

واول من حوكم في ذاك الديوان الخوري موسى ميلان من بجنس في قضاء المتن (مات بالتيفوس) · ورد الى هذا الخوري كتاب من احد ذويه في

الولايات المتحدة فعثر قلم المراقبة عَلَى جملة غير جليّة فاستنطقوا الخوري المذكور ولم يكن يفهم شيئاً من معنى تلك الجملة فاوسعوه شتماً واهانة واصدروا بحقه حكماً معجّلاً يقضي بنفيه الى الشام وسجنه هناك سنة كاملة . فمكث المنكود الطالع في سجنه ستة اشهر يئن من علّة مزمنة في القلب . فتوسط في امره المثلث الرحمات المطران بطرس شبلي مطران ابرشية بيروت المارونية ملتمساً من ارباب ديوان عاليه ان يسمحوا للخوري موسى بقضاء الشطر الباقي مسجوناً في كرسي الابرشية في عين سعادة فنجح المطران بمسعاه [١]

(١) لم يتداخل المطران شبلي بذاته بمسألة الخوري موسى لانهُ كان يكره الاتراك كرهاً شديداً أدى آخر الامر الى نفيه الى اطنه حيث قضى شهيداً مأسوفاً عَلَى شبابه وعلى فضائله السامية ومعارفه النادرة . فأوعز رحمهُ الله الى الهمام الفاضل الخوري مخايل حوبس (اليوم ابيسكبوس مكافأة على اتعابه يوم كان يدير شؤون ابرشية بيروت) ان يتعاطى أمر المحاماة عن الخوري موسى . فاحتج اذ ذاك الخورى مخايل عَلَى توقيف الخوري المذكور وعلى توقيف الشماس يعقوب خليل سعاده من برج البراجنة (وقد سيق هذا الشماس الى ديوان عاليه لسبب يضاهي سبب الخورى موسى وأُبعد معهُ الى الشام) مستنداً الى التحريرات السامية الصادرة في ١٩ مارث سنة ٣٠٨ القائلة ان الرهبان والخوارنة بعد صدور الحكم عليهم في المواد الجزائية يحبسون في دار البطريركية او الاسقفية وبهذا الاحتجاج خلص الخوري مخايل من ايدي اولئك الظلام كلاً من الخوري موسى والشماس يعقوب فرجعا من الشام الى عين سعاده . وفي اليوم نفسه كان قد سيق الى ديوان عاليه انطون بك حوبس نسيب الخوري مخايل لباعث يشبه باعثي الخوري والشماس وأُبعد معهما الى الشام فلجأ الخوري مخايل الى حيلة وهي انهُ اقام على انطون دعوى جزائية في محكمة قضاء المتن وبهذه الوسيلة أنقذه

وباهتمام من اضاعوا الوجدان تجار السعاية والوشاية كثر عدد المظلومين في اوائل عام ١٩١٥ حتى ضاقت بهم السجون عَلَى سعتها . فالجوع والضرب والجلد ومرّ العذاب وشديد الاضطهاد ذلك كله كان جزاء اولئك المسجونين ضحايا الواشين الانذال

نقل بعض الجنود اللبنانيين الى ديوان عاليه ان القس لويس شلالا الغزيري (رئيس دير مار الياس في غزير في ذاك الحين) يشتري اسلحة ويجمعها في ديره قصد اضرام نار الثورة في لبنان . فسيق مخفوراً الى عاليه . وصلها ليلاً وكانت المسئلة في اواخر شباط عام ١٩١٥ . أُدخل الى الحبس ساعة وصوله . عرّوه من ثيابه وحمّموه . اتاه ضابط شامي معهُ اربعة انفار من الجنود . اوثقوه بالحبال واخذوا يضربونهُ بسياطهم نوباً قائلين له : (قس لويس شلالا ! قرّ !) — خافوا ربكّم ما معي خبر . هذه كانت اجوبته بعد كل فصل من تلك الفصول الهمجية وكان صادقاً في كلامه . ابقوه طول الليل واقفاً عَلَى رجليه صائماً يئن من الوجع والجوع . . رأف بحالته المرحوم الخوري يوسف الحائك من سن الفيل (اول من اعدم من اللبنانيين) وكان مسجوناً مع الياس البيطار من عينعار (وهذا الاخير لا يزال حياً يرزق وهو الذي روى لي الحادثة) فدفعا (اعني الخوري يوسف والياس) قطعة بشلك الى احد الانفار العسكريين المحافظين عَلَى باب السجن فاشترى كعكاً واطعم القس لويس . . أعاد القساة كرّتهم البربرية عَلَى القس المشار اليه فخارت اخيراً قواه وقد بقي ذاك

المسكين يقاسي الويل والثبور مدة ثمانية ايام . و بعد الفحص المدقق والتنقيب الكلي تبرّرت ساحته وأُطلق سبيله وقد كاد ان يفارق الحياة (لم يزل حيًّا) (١)

رأينا ثمة للفائدة ان نضمّ الى تاريخنا هذا ملخص الايضاحات التي أمر بنشرها جمال السفّاح عن المسائل السياسية التي جرى تدقيقها بديوان الحرب العرفي المتشكل في عاليه .

(١) أدت القحة بديوان عاليه الى التأكيد على المير مالك شهاب (وكان في ذاك الحين قائمقام قضاء كسروان) ان يبلغ بطريرك الموارنة امراً قاضياً بحضوره الى العرفي فذهب المير مالك الى بعبدا واخبر اوهانس باشا بالقضية . فاستدعى اوهانس باشا يوسف بك الحكيم وأمره ان يذهب الى التلفون و يفهم رضا باشا ان لبطريرك الموارنة اكبر منزلة واسمى مقام في البلاد السورية وان ليس بامكان الحكومة اللبنانية مس شخصهِ الكريم بادنى شيءٌ . ففعل يوسف بك الحكيم بحسب امر المتصرف . فاجابهُ رضا باشا قائلاً : « يجب ان يعلم المتصرف ان للديوان العرفي القوة على استحضار (البادشاه) — السلطان — بناء عليهِ عجلوا بتبليغ البطريرك اوامرنا . » واذ ذاك قال اوهانس باشا ليوسف الحكيم : ارجع الى التلفون وخاطب رضا باشا بلهجة شديدة وقل له : نحن نبلغ البطريرك الامر لكننا لانكون مسئولين بما يحدث في الجبل من جرّاء استحضار البطريرك الى ديوان عاليه » فلبى الحكيم امر اوهانس ولما اشتمّ رضا باشا رائحة اللهجة الشديدة قال للحكيم : انتظر ني عشر دقائق واعطيك الجواب . و بعد مضي تلك الدقائق قال رضا للحكيم : قل للمتصرف اننا صرفنا النظر عن مسئلة البطريرك — وقيل ان رضا باشا خابر اذ ذاك القيادة العليا في هذه المسألة فقضت بالحسنى

ملخص الايضاحات

عن المسائل السياسية التي جرى تدقيقها بديوان عاليه

في عام ١٩١٨ ظهر كتاب عنوانه « ايضاحات عن المسائل السياسية التي جرى تدقيقها بديوان الحرب العرفي المتشكل بعاليه » وقـد نشرت تلك الايضاحات من قبل القائد العام للجيش الرابع . وكان الغرض من نشرها ان يبين لنا اولئك السفاحون انهم ابرياء من الدماء التي ازاقوها ومن المظالم التي لا تنسى هولها اراضي لبنان وسورية . كانهم يريدون ان يقولوا للعالم . ان الخائن ينال جزاء خيانته . لم نعاقب الا من تحققنا عنهم انهم يدأبون في سبيل تقويض اركان الدولة العثمانية . بيدَ انهم لا يتمكنون من اخفاء الحقيقة ولا من محوهم عنهم وصمة الهمجية والظلم بما ذكروه من الاسباب الكاذبة وبما استندوا عليه من الحجج الواهنة فعاقبوا بموجبها وبلا شفقة من ابنـاء العنصر العربي فريقاً من ارباب الاقلام وفريقاً من اصحاب النفوذ والسيطرة . . السجون والمشانق تشهد بشدة كرههم للعنصر العربي . السماء والارض تشهدان بما كانت تكنه قلوبهم الشريرة من الضغائن لكل فردٍ من ابنـاء العرب . ولم يزل يرنّ في الآذان صدى تلك الحادثة المشهورة التي نرويها هنا علَى سبيل عبرة وذكرى « افتقر في ابان الحرب رجل من جماعة المسلمين في بيروت وكان فيما مضى

صاحب ثروة يُعتد بها فضلاً عن انه ابن عائلة كريمة . فلجاء الى الدموي عزمي بك طالباً اليهِ وظيفة بها يتمكن من دفع غوائل الجوع عن عائلته المسكينة فاجابه ذاك الوحشي الاخلاق بلغة هي القساوة البربرية : «يجب ان تعلموا يا ابناء العرب انه اذا كان لم يزل فيَّ عرق من عروق الحنان والشفقة فانني مستعد ان اقطعه حتى لا ارحمكم . » لعمر الحق ان اناساً شبيهين بعزمي بك يديرون دفة الامور في ديوان عاليه لا يصعب عليهم وقد تعرّوا من الشفقة والذمّة والشرف ان يدبروا المكايد لاهلاك من يريدون اهلاكه . وليس بعجيب اذا كانوا اختلقوا تلك المسائل السياسية التي بموجبها حكموا علَى الابرياء فاراقوا دماَهم الزكية التي تصرخ طالبةً الانتقام

« بعد المقررات التي صدرت من قبل ديوان الحرب العرفي المتشكل في عاليه بحق الاشخاص الذين حوكموا فيه هيّاء ارباب ذاك الديوان كتاباً محتوياً علَى جميع الوثائق واقرار المجرمين ونبذة من تاريخ الجمعيات التي كانت سبباً لمعاقبة اولئك المنكودي الطالع وقد رتبوا الجمعيات كما يلي

١ — الاخاء العربي

٢ — المنتدى الادبي

٣ — الجمعية القحطانية

٤ — جمعية العهد

٥ — الجمعية الثورية العربية

٦ — النهضة اللبنانية

٧ — الاصلاحيون والجمعية الاصلاحية

٨ — اللامركزية

و بعد هذا الترتيب قالوا في كتابهم انه يمكن تلخيص مقاصد هذه الجمعيات المنقلبة الى حزب اللامركزية الذي تشكل مؤخراً في مصر في ثلاث او اربع جمل وهي

تأسيس الخلافة في مصر تحت حماية الانكليز مع قلب الخديوية الى الخلافة ، وجعل قطعة سورية من حيفا الى مصر تحت حماية الانكليز ومن حيفا الى اسكندرونة تحت حماية الفرنسيس ، وايجاد امير مسلم مستقل في سورية . ولبعضهم مقاصد اخرى وهي الحاق بيروت بجبل لبنان وتوسيع حدود الجبل الى البقاع او تكون سورية تحت احتلال فرانسا

(قال ديوان عاليه : « لم تبحث الحكومة في ديوان الحرب العرفي عن جميع هذه الجمعيات من جهة شكلها الرسمي بل دققت اشكالها الثانوية الخفية فعاقبت المؤسسين تشكيلاتها السرّية والمتشبثين بذلك . اما الاشخاص الذين دخلوا هذه الجمعيات بحسن نية ولم يفهموا حقيقة مقاصدها فلم يبحث عنهم ولم يعاقبوا من جهة كونهم اعضاء في تلك الجمعيات

وهنا نقطة مهمة لا بدّ من ايضاحها قبل كل شيء وهي ان الحادثة التي تُدقق في ديوان الحرب العرفي في عاليه لم تكن مسئلة عنصرية بل مسئلة

خيانة .... و يسوغ لنا ان نسميها « خيانة للحكومة عامة وللجميع الاقوام العربية خاصة »)

الاخاء العربي

اوضح ديوان عاليه ان شفيق بك المؤيد مبعوث الشام سابقاً وندره مطران مندوب بعلبك في مؤتمر باريس قد اتفقا مع اشخاص آخرين عَلَى تأسيس جمعية بعنوان (الاخاء العربي) في احد بيوت الجزيرة الكبيرة فشرعوا بطبع اوراق الدعوة وتوزيعها عَلَى السوريين الموجودين في الاستانة بواسطة عبد الكريم الخليل وجميل الحسيني وغيرهما من الشبان . وكان في عداد المروّجين لهذا الفكر والمشجعين عليه الاشخاص الذين أسسوا مؤخراً في مصر حزب اللامركزية وهم : حقي العظم وعبد الحميد الزهراوي ورضا بك الصلح والطبيب حسين بك حيدر وعبد الكريم الخليل

وقد صدرت جريدة باسم « الاخاء العثماني » (في الاستانة) بادارة شفيق بك المؤيد لتكون مروّجة لآمال الجمعية فتوالت الاجتماعات والمذاكرات في الاندية التي اتخذوها اولاً في بك اوغلي و بعده في جقال اوغلي ....

ولما اتسعت دائرة هذه التشكيلات في الاستانة نالت معاضدة كبيرة في الخارج فتأسست لها شعبات كثيرة في سورية والعراق ....

وفي تلك الاثناء شرع يسري خفيـــة ما اراده اولئك القائمون بتلك

التشكيلات من بث مقاصد الافتراق بين الامة العربية ···· ونشرت جريدة الاخاء العثماني التي تصدر في الاستانة والجرائد التي تصدر في سورية ومصر واميركا مقالات تصوّر فيها بنظر العرب ضعف الحكومة العثمانية وعدم نفوذها ···· وقد اغلقت الحكومة جميع شعبات هذه الجمعية وألغت جريدة الاخاء العثماني التي كانت تروّج افكارها

المنتدى الادبي

أبان ديوان عاليه (ان المنتدى الادبي) قد امتدّت حياتهُ اكثر من تلك الجمعيات فانه تأسس سنة ٣٢٥ وانفسخ في مارت سنة ٣٣١

لما سُدّت شعبات جمعية الاخاء العربي شرع عبد الكريم الخليل هو ورفيق له او رفيقان يبثون مجدداً بين شبان العرب في الاستانة فكر التشويقات والترغيبات ···· وكانوا يسيرون بمظاهرة عبد الحميد الزهراوي ويبينون شدة الحاجة الى تأسيس نادٍ في الاستانة باسم اولاد العرب غايتــه جمع كل طلبة العرب في مقرٍ واحد واكرام مثواهم ببيت نظيف يمضون به حياة طيبة ····

وعلى رواية رفيق رزق سلوم ان مؤسسي المنتدى هم : عبد الكريم الخليل ويوسف مخيبر سليمان حيدر وسيف الدين الخطيب وجميل الحسيني . والذين سبقت لهم المظاهرة المعنوية والنفوذ في تأسيس هذا النادي هم عبد الحميد الزهراوي وشفيق بك المؤيد ورضا بك الصلح والشيخ رشيد رضا وحقي العظم

ورفيق العظم والطبيب حسين حيدر وطالب النقيب مبعوث البصرة والبكباشي عزيز علي المصري وعزت الجندي وندره المطران ونخله المطران ورشدي الشمعه

وفي تلك الاثناء شرع الطبيب حسين حيدر المتجول في سورية و بيروت يستلفت نظر الجرائد جهة المنتدى فاخذت الجرائد في مقالاتها الاجتماعية تدل شبان سورية عَلَى ذاك النادي وكل من سار للاستانة من الشبان يتقيد عضواً في المنتدى الذي قرأ بلاغه وبروغرامه

ولما كان عبد الكريم ويوسف مخيبر سليمان وسيف الدين الخطيب من المؤسسين ألفوا هيئة ادارة حسب نظام النادي وهم الذين كانوا اعضاء دائمين وقد صرح عبد الحميد الزهراوي ايضاً بان هولاء هم المؤسسون .....

وبعد مدة ظهر في النادي دور الخطابة فكان الشيخ رشيد رضا لما جاء من مصر الى الاستانة وندره المطران وعبد الحميد الزهراوي وعزيز علي وسليم بك الجزائري يلقون الخطابات وموضوعها تلقين التاريخ للطلبة بشكل يبعث عَلَى فكر الاستقلال

عَلَى ان رفيق رزق سلوم الذي عهدت اليه وظيفة نظم القريض بهذا الموضوع قال في كلامه المصدّق بامضائه جواباً عَلَى سؤال : (ليس لي شعر ضد الدولة ولكن نظمت الشعر بما يتعلق بمجد العرب ومدنيتهم واعادة حاكميتهم .) ....

وانا نريد ان نبين هنا ان المنتدى هو اعظم جناية للاشخاص المنسوبين

لجمعية اللامركزية الذين لهم اعظم موقع في هذا الجريان لأن المنتدى قد سمم افكار الشبان الابرياء الذين كانوا اثناء دوامهم عَلَى المكاتب في الاستانة يسعون لتأمين مستقبلهم وهم بسكينة تامة حتى جعل بعضهم خادمي آمال رجال اللامركزية تمام الخدمة فكان السبب في اعدامهم نتيجة المحاكمة الاخيرة

وقد انفسخ المنتدى بنفسه في شهر مارت سنة ١٣٣١

الجمعية القحطانية

اوضح ديوان عاليه ان الجمعية القحطانية تأسست في الاستانة

مؤسسوها : خليل حماده ، عبد الحميد الزهراوي ، عزيز علي القاهري يكباشي اركان حرب وسليم بك الجزائري يكباشي اركان حرب . هم الذين ألّفوا المركز . ثم انضم اليهم حقي العظم وحسن حماده وعزت الجندي . وغايتها نشر الفكرة بترقي العرب واصلاح حالهم ونهوضهم باية واسطة كانت

وقد ثبت ان الكثير من اعضاء الجمعية يسعون وراء استقلال البلاد العربية وتأسيس الخلافة العربية .... ثم ان الجمعية القحطانية قد ابتدرت اعمالها وهي ترمي بمقاصدها الى غاية واسعة فكانت تسعى بواسطة المنتدى والجرائد لاقناع الشبان والاهالي عَلَى عجز الحكومة وظلمها .... وبقيت الجمعية بلا اعضاء اساسيين يسوقونها للعمل الى ان وقعت حرب الطليان

ونشأ من هذه الجمعية ثلاث جمعيات مهمة في ازمنة مختلفة فأسس عزيز

علي « جمعية العهد » لتشتغل بالجيش خاصة وبعده توقف وعلى ما يقال انه تخاص بمساعي اللامركزية . وبعد ذهابه الى مصر أسس جمعية « الثورية العربية » وأسس بعض اعضاء الجمعية من الملكيين وهم عبد الحميد الزهراوي والشيخ رشيد رضا ورفيق العظم وحقي العظم جمعية اللامركزية في مصر ايضاً

العهد

اوضح ديوان عاليه ما يلي :

« ان عزيز علي لما عاد للاستانة بعد حرب طرابلس الغرب رأى من الموافق انقسام الجمعية القحطانية الى قسمين . فجمعية العهد هي القسم الذي تأسس ليسعى ورآء المقاصد بين افراد الجيش وهذه الجمعية مشتركة تمام الاشتراك مع القحطانية في شعارها وعلامتها الفارقة وسائر الخصوصات ....

وقال سيف الدين الخطيب :

حضر سليم بك الجزائري وعزيز علي الى المنتدى وقال علناً :

— يقولون انني قد أسست هنا جمعية خاصة بضباط العرب . فقلت له :

— رأى البعض مع صديقك الحميم عزت الجندي مكتوباً فيه رموز لا تحل بغير مفتاح فاشتبه فيه كل انسان لأن عزت الجندي يرافقك دائماً .

فقال سليم بك :

— ليس هناك شيء من هنا ولو كان لا اتنزل لادخال عزت الجندي

فان المفسدين في المنتدى الأدبي كثيرون غير ان العشرين خير من الخمسين والخمسين خير من المائتين . وختم المناقشة . »

وقال عبد الغني العريسي :

« واختلفت عنها بان كانت عسكرية بحتة لا يدخلها الا ضباط العرب . ولكن من الثابت ان المنتسبين اليها في هذه الايام هم : سليم الجزائري بيكباشي اركان حرب ويحيى كاظم رتبته يوزباشي وامين لطفي بيكباشي اركان حرب . » ....

وقال ايضاً عبد الغني :

« كانت جمعية العهد باول امرها لا تريد ان تخابر حزب اللامركزية بوجه من الوجوه لانها تعتبر نفسها انها اقوى من الحزب في البلاد العربية بدرجات لان القوة الاجرائية بيدها وحزب اللامركزية يسعى ان يضم الجمعية اليه . ثم جاء زمن نظر فيه الفريقان الى بعضهما فوجدا انفسهما اقوياء فكان حزب اللامركزية يريد ان تذوب فيه جمعية العهد وجمعية العهد تريد ان يضمحل فيها حزب اللامركزية واشتد الخلاف بينهما زمناً حتى اتفق الفريقان كما اخبرني داود بركات يوم جاء الى بيروت قبل دخول الدولة الحرب ومنذ ذلك نستطيع ان نقول باتفاق القوة الاهلية مع القوة العسكرية ....

الجمعية الثورية

اوضح ديوان عاليه ما يلي :

« ان الجمعية التي ذكر عبد الغني العريسي آنفاً انها اتحدت مع اللامركزية ليست هي جمعية العهد بل جمعية الثورية العربية فان هذا الاسم وضعه عزيز علي لجمعية العهد هو وحقي العظم وفوآد الخطيب والضباط الفارون الى مصر وذلك لما عاد عزيز علي من الاستانة الى مصر عَلَى اثر تخلصه بسبب توسط اللامركزيين لدى معتمد الانكليز في مصر

ونحن ننشر ههنا ما وقفنا عليه من الوثائق المعربة عن تخلص عزيز علي فانها ذات فائدة فان حقي العظم الذي ذكرنا انه اشترك مع المومى اليه اثناء تأسيس الجمعية الثورية في مصر قال في مكتوب بعث به من مصر الى محمود المحمصاني :

« عزيز لا يزال رهين السجن ونحن نواصل السعي هنا لانقاذه وقد اقمنا اجتماعاً ثانياً وقررنا مراجعة اللورد كيچنر والتمسنا منه ان تتداخل الدولة الانكليزية في المسألة وتصون حياة بطل برقه والرجاء منكم ان تشيعوا بين الناس بقدر الامكان ان قصد الحكومة ان تقتل الرجل لانه عربي يجاهر بضرورة الاصلاح في البلاد الناطقين بالضاد . » . . .

والفرق بين الجمعية الثورية العربية وبين الجمعيات التي استقصينا حركاتها

حتى الآن هو ان جميع تشبثات هذه الجمعية ابتدأت بصورة طنية ـ فالبلاغات التي نشرتها اللامركزية المؤسسة بحسب الظاهر تبعاً لبروغرام كانت باعتبار النتيجة عبارة عن البلاغات التي نشرتها الجمعية الثورية التي تسعى وراء غاية اللامركزية

. . . .

ولايضاح ماهية الجمعية تمام الايضاح ننشر هذه السطور من احد بلاغات الجمعية الذي طبع ونشر مختوماً بختم الجمعية الرسمي وهذه هي السطور :

قالت الجمعية الثورية بحق عزيز علي يعني انعزيز علي يقول بحق نفسه:

« مرت امامنا منذ عهد قريب حادثة اشتهر امرها وعرفها القاصي والداني ألا وهي مسألة الحكم عَلَى عزيزعلي المصري التي يجدر بكل صاحب نظر ان يتأمل في مكان العبرة منها

نحن الذين قررت جمعيتنا ان نخاطب امتنا المحبوبة بكلمتنا هذه نعترف عَلَى رؤوس الاشهاد بان غاية ما يمكن للمتصف بالتابعية العثمانية ان يخدم به هذه الدولة لا يمكن ان يزيد عَلَى ما خدمها به عزيز الذي كان الانصاف والمجاملة يقضيان عَلَى الاتراك بان لا يقدموا ابنهم انور عليه لانه لا يفضله بشيء ولكنهم عَلَى خلاف مقتضى الانصاف والمجاملة رفعوا انور من رتبة ضابط الى رتبة ناظر حربية وبلغ بهم الحقد والحسد والبغض لفتى مصر عزيز الى حد انهم لم يكتفوا بحرمانه من المراتب العليا ولا بعدم مكافاته عَلَى ما احسن اليهم

به مدة عشرين سنة بل هم مزقوا برقع الحياء وصرّحوا بما تضمره قلوبهم من البغض لابناء العرب فحكموا عَلَى هذا الشهم العربي بالاعدام رغم توسل ؟ كبر شيخ في الاسلام ورغم رجاء اعظم العظماء في مصر ورغم النصائح التي قدمها لهم كل مغرور بهم ومفتون بحبهم »

و بهذه السطور يجتهد ان يفرغ مسئلة الرقابة الشخصية الاعتيادية بشكل مسئلة قومية فكأنه يقول ان عزيز لم يمنح رتبة وحضرة انور باشا تعين ناظر الحربية و بعكس ذلك قد حكم عَلَى عزيز علي · وهذا الحقد الذي وقع عَلَى ولد مصر انما هو نتيجة بغض الاتراك لابناء العرب وحقدهم عليهم · · ·

ومن عبارات ذلك البلاغ ما يأتي :

« ولكن فتانا قد نجا فيما بعد من بين ايدى هؤلاء الظلمة السفّاحين · فهل علم بنو قومنا لماذا نجا ؟

انهُ نجا لا لاجل خاطر المسلمين ولا اكراماً لعواطف العرب الذين لا تساوي خواطرهم وعواطفهم قرشاً واحداً في نظر هذه الدولة المنحوسة بل لاجل خاطر رجل آخر لا يلبس طربوشاً ولا عمامةً »

وبآخر البلاغ صرحوا بذلك المقام الذي يراعى جانبه فقالوا :

هذه هي الحقيقة فلا تنخدعوا ، هذه حادثة عزيز امامكم فاعتبروا · لولا انكلترا لم يخرج عزيز من القفص ، ولكن ليس كل واحد من ضباطنا اذا وقع في القفص تحس به انكلترا وتسمع الدنيا صوته ، فتنفذوا بهم قبل ان يتعشوا

بكم والسلام عَلَى من لم يرضَ لنفسه ان يكون مغفلاً ذليلاً مخدوعاً » وباطلى هذه السطور التي تحرض عَلَى محبة الانكليز وتمثلها للعرب انها محل آمالهم من العدل ذكرت هذه الجمل :

« الآن عرفنا قيمة انفسنا في نظر هؤلاء الحقودين المبغضين لنا . الآن صرنا نفهم معنى « العداوة التركية » التي ادركها شاعرنا من قديم الزمان فانشدها في قوله :

« تبدلت منهم بعد ما شاب مفرقي   عداوة تركي و بغض ابي حسل »

فقرن عداوة الترك ببغض ابي حسل وهو الحيوان المعروف الذي يأكل اولاده

نعم ان عداوة دولتنا التركية لنا كبغض ابي حسل لاولاده فهي تأكل اولادها وابو حسل يأكل اولاده »

ونحن نستلفت النظر خاصة الى هذه العبارة الغريبة من هذ البلاغ

« من مائة سنة واكثر الى الآن لم تعلن دولة الاتراك حرباً عَلَى الاجانب فالموسكوف هو الذي اعلن عليها الحرب واليونان هم الذين اعلنوا الحرب والايطاليون هم الذين اعلنوا الحرب والبلغاريون ورفقاؤهم هم الذين أعلنوا الحرب عليها واما هي فكانت دائماً تشتري السلاح وتجند الجنود وتعد المعدات ... نعم لاجل ... ان تقاتل المسلمين من غير العنصر التركي »

وذكر في اسفل البلاغ هذه العبارة خطاباً للضباط :

« وانتم ايها الضباط ، يا من رشحتم انفسكم لسلوك مسلك تضحية النفس من اجل البلاد ، ليس العدو في الخارج بل هو في الداخل ، الدولة لا تحارب بعد الان اجنبياً لانها امضت عَلَى شروط القرض في فرنسا وفي تلك الشروط ان عَلَى الترك ان لا يصرفوا قرشاً واحداً في محاربة دولة اجنبية · فلم يبقَ من هذه الدولة الاّ ان تحارب ابن سعود والادريسي وبقية العرب فاحذروا ان تكونوا في صف الاعداء

يجب ان نعلم بعد الآن مكاننا في نظر هذه الحكومة · يجب ان نعتقد انه لا حكومة لنا بل نحن في وسط اعداء وتحت راية دولة ليست دولة لنا

نحن ننجح بعد الآن اذا كان رجال الشهامة فينا واهل الفتوة من شباننا وابنائنا يعرفون ان الموت لا بد منه وان حياة المجموع لا بد لها من موت بعض الافراد فيجردوا مسدساتهم لقتل هذه الام المبغضة لابنائها واعلموا يا من تجول في عروقهم دماء الفتوة والشباب والأمل اننا اذا قتلنا ثلاثة ولاة في كل ولاية مرة بعد المرّة تنقطع قلوب كل من يعين والياً عَلَى بلادنا فلا يجيء الينا احد منهم الاّ اذا عزم على ان يحترمنا ويجيب رغباتنا ويسير عَلَى ما فيه مصلحتنا » ....

النهضة اللبنانية

صرح ديوان عاليه بما يأتي :

ان جمعية النهضة اللبنانية هي اول ما تأسس من الجمعيات التي ذكرت ولكن قد وحدت اعمالها في المدة الاخيرة مع اللامركزية

وهذه الجمعية قد تأسست في لبنان بصورة خفية لان الامتيازات كانت تجعل الجبل ملجأ لاعضاء الجمعية وهذا من الغرابة بمكان فان الجريدة التي تعطل في بيروت تصدر في فرن الشباك البعيدة عن بيروت عشر دقائق . وكانت الحكومة تجم امام ذلك ولا تتكلم بكلمة واحدة وهذا امر واقع بالفعل . ومؤسسو هذه الجمعية هم رجال من آل الخازن وكان لها شعبة في بيروت . وعلى رواية عبد الغني العريسي ان من له الصدر من اعضائها هم : وكيل الدعاوى دعيبس المر وخليل زينيه ويوسف الغلبوني . وكان قنصل فرنسا في بيروت من اهم اعضاء شعبة بيروت وكان يمد يد المعونة بالنقود الوافية الوافرة لشعبة بيروت وجمعيات لبنان . ولها في مصر وباريس شعبات ايضاً . وعلى حسب اعتراف عبد الغني العريسي ان رئيس شعبة مصر هو اسكندر عمون ومن اعضائها داود عمون وقسم عظيم من اللبنانيين المقيمين في مصر وهم يعاضدون الجمعية بالنقود . واما شعبة باريس فرئيسها شكري غانم وكاتبها خيرالله خيرالله ومن اعضائها الكونت جريصاتي وزوين الخوري واللبنانيون المقيمون في باريس

ورئيس شعبة اميركا نعوم مكرزل صاحب جريدة الهدى . ثم ان هذه الجمعية كانت تسعى وراء الحاق بيروت بلبنان وتوسيع حدود الجبل الى البقاع

ومن جملة الاشخاص الذين عزى اليهم ديوان عاليه الاجتهاد في سبيل انتشار هذه الجمعية و بث روحها رزق الله ارقش وسعيد عقل وخليل زينيه وصاحب جريدة النصير وصاحب جريدة زحله الفتاة وصاحب جريدة الثبات وباترو باولي .

وصرح ديوان عاليه ان تأسيس هذه الجمعية كان مقصوداً به تعميم فكر الافتراق مستنداً بذلك الى ما كتبه عبد الغني العريسي اذ قال :

« كانت علائق هذه الجمعية مع الجمعية الاصلاحية وكانت الاولى تؤيد الثانية وتساعدها في بث الدعوة بما يتعلق بضم بيروت الى لبنان والعاملان من اتباع الجمعية اللبنانية هما رزق الله ارقش وخليل زينيه وينضم اليهما احياناً جورج رزق الله والثلاثة من اعضاء الجمعية الاصلاحية . اما علاقة الجمعية اللبنانية في مصر بحزب اللامركزية فقوية ايضاً لان رئيسها اسكندر عمون من اعضاء الحزب . وكانت الجمعيتان قد اتفقتا قبل اعلان الحرب العمومية ان يعمل الفريقان سوية فيما اذا دخلت الدولة العلية في الحرب . »

ومما صرح بهِ ديوان عاليه قوله :

« نحن ننظر الى منسوبي النهضة بنظر جواسيس لفرانسة يدخلون بكل

جمعية ومحفل ويسعون مع كل جريان ويخبرونها عن جميع التبدلات ولا ريب ان هولاء حسبما تلقوا من التعليمات يتقيدون بكل جمعية ويسعون بأن يجعلوا خطتها موءتلفة مع منافع فرانسة »

الجمعية الاصلاحية

قال ديوان عاليه :

« من المعلوم عند الجميع شأن الحركة الاصلاحية التي ظهرت في بيروت سنة الف وثلاثمائة وثمان وعشرين ولا ريب ان الحادثات التي كانت سبب ذلك لا تخفى من قليل او كثير عَلَى احد . وفي اول حرب البلقان كان الكثير من الجرائد يجعل موضوع جميع المقالات عَلَى الاكثر «طلب الاصلاح» وكانت كلمة الاصلاح المبهمة تتردد في افواه بعض الناس العالمين وغير العالمين والمفكرين وغير المفكرين وقوي الجدال اذ ذاك امام الحكومة وضاق الخناق عَلَى ان التشويق المترادف جعل الناس بعصبية وهياج

ولربما كان يوجد خلال الجدال بعض اشخاص يريدون بحسن نية ان ينالوا بعض مساعدات لكي تكون ادارة المملكة عَلَى أتم رفاهية بيد ان هولاء لم يحسنوا انتخاب الاوقات المساعدة لذلك الطلب لان الحكومة كانت اذ ذاك امام حرب جديدة غير متهيئة له . واذا كان رجال الحكومة لا يستطيعون سوى السعي مع القلق لتحشيد الجيوش عَلَى الحدود وملاحقتهم بالاسلحة فمن

اللازم المحتم اتحاد قلوب الوطنيين في جميع انحاء المملكة والعدول عن تلك الدعاوي سواء كانت خطاءً ام صواباً محقة ام غير محقة الى ان يزول ذاك البركان

ولكن يا للأسف كان ذاك الجريان الذي لا محل له يزداد شدة عَلَى تقلب الساعات و بعد ذلك انتخب البيروتيون ثمانين شخصاً انتخب منهم اربعة وعشرون رجلاً عهد اليهم أمر تنظيم لائحة الاصلاح

فالوزارة الكبيرة اذ ذاك قد ساعدت اشخاصاً لم تكن لهم صفه رسمية عَلَى المفاوضة معها بما يتعلق بقوانين الدولة الاساسية وعلى مطالبهم تجاه الحكومة . وهنا ذكر ديوان عاليه صورة التلغراف الذي ورد من الاستانة الى البيروتيين ومآله ان الحكومة مستعدة للاصلاح . (غير ان تلك المواعيد لم تكن الا حبراً عَلَى ورق) .

وابان ديوان عاليه ان بعض المرائيين من لهم سوء نية من اللامركزيين والاصلاحيين لم تكن مطالبهم عبارة عن تكليف الحكومة بشيء ومناقشتها فيه بل كان مرادهم ان يهيئوا جرياناً بطرز حزب للمخالفة تجاه الحكومة سواء كان قانونياً ام غير قانوني مشروعاً ام لا وان يظهروا للاوربيين كيف ان سورية اثناء الحرب ضعيفة تجاه الحكومة مع ان محبي الوطن من شبان العرب كانوا اذ ذاك في صفوف الجيش يريقون الدماء امام الاعداء

اللامركزية

اوضح ديوان عاليه ما يلي :

تأسسها — ان بعض الاشخاص كانوا يسعون منذ زمن بعيد في الداخل والخارج وراء المقاصد الحقيقية اللامركزية عَلَى سبيل الانفراد او بالتحريض عَلَى تأسيس اندية صغار وتشكيل جمعيات بصورة تسمم لافكار اعضائها . وهولاء الاشخاص قد اجتمعوا في مصر بطرز جمعية سنة ٣٢٨ ولما تشكلت نشرت بروغراماً و بلاغاً وعَلَى مقتضى ذلك البروغرام يصح ان يطلق عليها انها حزب سياسي . عَلَى ان مطالبها يترتب عليها معنى اهم من معنى اللائحة الاصلاحية التي قام بتنظيمها المجلس العمومي في بيروت غير ان اللامركزية ليست عبارة عن ذلك لان ذاك البروغرام والبلاغ انما هو سدٌّ وضع للمدافعة تجاه تعقيبات الحكومة منه .

ان عبد الغني العريسي انبأ ان من المؤسسين الشيخ رشيد رضا وعبد الحميد الزهراوي ورفيق العظم وحقي العظم و بعض النصارى الموجودين في مصر اهمهم داود بركات واسكندر عمون .

وقال عبد الغني :

« يذكر لي رشيد رضا منذ سنتين ونصف انه فهم من مصدر رسمي كبير يعني به الخديوي ان الحرب البلقانية ستكون نتيجتها تقسيم الدولة العثمانية وان

نصيب سوريا يكون لفرنسا من خط حيفا الى اسكندرونة ولانكلترا من خط حيفا الى مصر مع جزيرة العرب ويتصل حكم انكلترا من مصر الى الهند ماراً بالقسم الجنوبي من ايران الذي هو تحت نفوذ الانكليز وتمد انكلترا خطاً حديدياً عريضاً من مصر فيمر بفلسطين وبادية الشام ثم يتخطى على ما بين النهرين فينفذ الى العجم والهند . »

الاشتراك مع المخالفين — ان في الوثائق الحقيقية ثبت لنا ان جمعية اللامركزية قد اتحدت مدة مع فرقة الحرية والائتلاف ولا بد ان يكون بمناسبة ظاهر بروغرامها ومقاصدها .

فقال عبد الغني العريسي :

« واتفق ان كان هنالك رئيس الائتلافيين صادق بك فكان يتردد على رفيق العظم وجرى بينهما شبه اتفاق بحيث يكون الحزبان عوناً على قلب الاتحاديين . وذكر لي الزهراوي انهم اذا توفقوا اقاموا [....] صدراً اعظم . »

فعبد الحميد الزهراوي قد عين عبد الكريم الخليل رئيس المنتدى كاتب المركز العمومي للحرية والائتلاف

وذهب لطفي فكري بك وشكري العسلي الموظفان من قبل حزب الحرية والائتلاف الى بيروت والشام والقيا هناك الخطابات واشترك معهما عبد الرحمن الشهبندر ايضاً وبعده سار لطفي فكري نحو حمص وحماه ايضاً . وسار عبد الكريم

الخليل و يوسف مخيبر بك سليمان الى الملحقات وايضاً القيا الخطابات باسم فرقة الائتلاف واسسا شعبات لها . ولما انفسخت فرقة الحرية والائتلاف بقرار الحكومة بقيت هذه الشعبات بصفة انها من شعبات اللامركزية .

وعلى رواية سيف الدين الخطيب ان رجال اللامركزية قد علموا حق العلم بعد قيام الارناؤط اهمية السعي مع فرقة الحرية والائتلاف وضاعفوا مساعيهم فالجرائد الموالية لهم تبجل ما وقع من العصيان في بلاد الارناؤط حتى ان عصابات حسن بك التي تقدمت في بلاد الالبان لما توقفت بعث شكري بك العسلي من الشام الى برشتنه هذه البرقية :

حضرة حسن بك من اهالي دولشترين

نبارك لكم بهذا التوفيق العالي المترادف مكافأة من الله تعالى لخلوص نيتكم الوطنية ونقدم تشكراتنا واحترامنا لقوم الارناؤط النجيب

عن شبان سورية
شكري العسلي

وقال سيف الدين الخطيب ايضاً :

« كانت في تلك الاوقات توزع نشرات الاختلال في الطرقات لايقاع مثل تلك الترتيبات التي انتجت قيام الارناؤط . و كانت التشويقات والترغيبات بعد حرب البلقان على الوجه الآتي :

« ان الامة التي تحاربها البلقان انما هي الترك . اما نحن فليس علينا شيء

من ذلك . ومتى وقع حرب في البلاد العربية ندخل تلك المعارك . حتى باشا باع طرابلس الغرب بخمسة ملايين ليرا »

وهنا ذكر ديوان عاليه بيانات مطوّلة ورسائل عديدة كتبها بعض اعضاء اللامركزية الى اخواتهم وذكر المؤتمر الذي عُقد في باريس من جمعية الشبان السوريين وصورة الدعوات والبلاغات الى ابناء الامّة العربية وتشكيلات اللامركزية وفروعها في مدن حماه وحمص وجنين ونابلس وبعلبك والبقاع ووادي العجم والموصل وبغداد والبصرة ومداخلات فرانسه وانكلتره وغير ذلك ممّا لا مجال الى تدوينه بحرفيته في هذا التاريخ

عَلَى اننا ننقل الآن الجدول الذي يحتوي عَلى اسماء الذين حكموا في ديوان الحرب العرفي في عاليه والاسباب التي استند عليها الديوان فحكم عليهم بموجبها



المحكومون ودواعي محكومياتهم

عبد الحميد الزهراوي

كان مؤسساً للمنتدى الأدبي ومروجاً لبرنامجه السرّي ووجد في رئاسة جمعية اللامركزيين ومناكراتها السرّية . واشترك في مؤتمر باريس رئيساً له

بصفته مندوباً عن الجمعية المذكورة · وتولى ادارة الاملاك التي اوقفها عزت العابد للسعي في تحقيق امر الاستقلال العربي · وبعد المؤتمر ذهب الى مصر وتولى رئاسة اللامركزيين · وبعد ان عين عضواً في الاعيان لم يفك ارتباطه باللامركزية بل انه لم يقبل عضوية الاعيان الا بعد صدور قرار جمعية اللامركزية في ذلك · وكان في مخابرات مع منسوبي اللامركزية في سوريا الى الايام الاخيرة · (حكم عليه بالاعدام)

شفيق بك المؤيد

كان مؤسساً لجمعية الاخاء العربي · وكان في اتصال ومذاكرات مع السفير الفرنساوي في الاستانة ومأموري فرنسا السياسيين في مصر وسوريا لاجل امارة سوريا واستقلال العرب ودعى القوى العسكرية الفرنساوية الى المملكة · ثم اسس رابطة اللامركزيين وثبت انه بعد العفو العام ايضاً اشتغل بهذه المسائل ·· (حكم عليه بالاعدام)

شكري بك العسلي

كان من اعضاء اللامركزية · ووقع علَى ورقة تتعلق بلجنة اللامركزية في الشام · وصرّح علناً بوجوب الافتراق في خطابه الذي القاه في مصر امام تمثال ابراهيم باشا · واخيراً اختلط بمعتمد فرنسا بالشام وذلك بواسطة الامير

عمر وادخل بعض الناس في جمعية اللامركزيين ٠٠ (حكم عليه بالاعدام)

عبد الغني العريسي

حكم عليه بالاعدام غيابياً واخيراً القي عليه القبض٠ كان من ضمن الذين دخلوا في اللامركزية وفي تشكيلاتها السرية وكان مأموراً لترتيب امر القيام في سوريا ٠ وكان من العوامل لتهيئة الافكار المضرّة قبل المؤتمر وبعده وكان يسعى بكل قواه لضمان استقلال العرب ٠ وثبت ايضاً انه حرّض العربان عَلَى القيام ٠٠ (حكم عليه بالاعدام)

سيف الدين الخطيب

كان يدير شؤون المنتدى الادبي السريّة هو وعبد الكريم الخليل ووقّع عَلَى البلاغات التي كانت نشرت في امر افتراق العرب ٠ وذهب سيف الدين الخطيب هذا الى مصر وتحادث مع اعضاء اللجنة اللامركزية هناك ٠٠ حكم عليه بالاعدام

محمود المحمصاني

كان من ضمن الذين دخلوا في اللامركزية واحد مروّجي مقاصدها السريّة وادخل فيها بعض اشخاص واخذ اختام فروعها في سوريا ووزعها ٠ وكان يدير شؤون فرعها ببيروت بالذات ٠٠ (حكم عليه بالاعدام)

محمد المحمصاني

احد مؤسسي فرع بيروت . وقد أُريَت له صور المكاتيب التي كان كتبها في لزوم الانفكاك عن الادارة العثمانية وفي ظلم الاتراك واذاهم فصدق بوقوعها . والتحق باللامركزيين . وأدّى تقاسيطه ايضاً اليها . واخذ اختام فروعها ووزعها .. (حكم عليه بالاعدام)

صالح بك حيدر

كان معتمد اللامركزية في بعلبك . ووجد مصرحاً في المكاتيب التي كانت وردت اليه والتي ارسلت الى محمد المحمصاني من مصر بانه من ضمن الداخلين في التشكيلات السريّة .. (حكم عليه بالاعدام)

عبد الوهاب الانكليزي

كان — كما اعترف هو بنفسه — مخاصماً للحكومة ببواعث الاحتراس وكان من الذين دخلوا في تشكيلات اللامركزية حسبما ادعاه وايده رفيق رزق سلوم وسيف الدين الخطيب وغيرهما من باقي الشهود . وحضر الاجتماع الذي كان حصل لاجل ادارة امر القيام في الشام .. (حكم عليه بالاعدام)

رفيق رزق سلوم

كان يكتب الاشعار لتهييج الذين يسعون لاستقلال العرب وتشجيعهم

كما اعترف هو بذلك . وكان من الاعضاء المنسوبين الى اللامركزية ..
حكم عليه بالاعدام

عمر حمد

ثبت بالوثائق انه من ضمن اعضاء اللامركزية . وكان انشد في احد مراسح التمثيل قصائد تنفر بين العرب والترك . وكان فر مع عبد الغني العريسي الى البادية وانوجد معه في حركاته القائم بها عند العربان .. حكم عليه بالاعدام

عارف الشهاب

كان من اعضاء اللامركزية . واهميته مصرّحة في المخابرات التي تبودلت بين اللجنة المركزية وفرع بيروت . وهو ايضاً فرّ الى البادية ورغّب العربان في القيام .. (حكم عليه بالاعدام)

عبد الكريم الخليل

كان مع رضا بك الصلح في كل تحريكاته اثناء الحرب العامة . وخلاف ذلك فانه كان من ضمن الداخلين في جمعية اللامركزية وفي تشكيلاتها السرّية وسافر الى مصر واشترك في مذاكرات اللامركزية .. (حكم عليه لا بالاعدام)

الشيخ احمد طباره

بناء على طلب رزق الله ارقش المحكوم عليه غيابياً بالاعدام كان اخذ

سعيد عقل المحكوم عليه بالاعدام ايضاً محرراً لجريدته · وكان العامل الوحيد في الجمعية الاصلاحية ومدّعي الاصلاح · وثبت انهُ اهم عضو وعامل خصوصي لجمعية اللامركزية · واشترك في المؤتمر بمصر ووقع على القرارات المتعلقة بتأسيس أمارة مستقلة · · (حكم عليه بالاعدام)

أمير عمر

كان يتقاضى الاموال من المعتمد الفرنساوي الى زمن الحرب العامة · وكان ممهدًا لامر التزام جانب فرنسا وهو الذي قدم شكري العسلي و بعض اشخاص غيره الى المعتمد · وان مقدار ما ابداه من المعونة في أمر التزام جانب الفرنسيس مصرّح في اوراق السفير والمعتمد · · (حكم عليه بالاعدام)

علي افندي الارمنازي

اعترف بانه انوجد في مخابرات مع اللامركزيين الا انهُ يدعي انهُ اخيراً انفك عنهم · كان معتمداً للامركزية والذي اتاه بالختم هو نوري القاضي · · (حكم عليه بالاعدام)

حافظ بك السعيد

تفيد المكاتيب الواردة من مصر ان الموما اليه كان معتمداً في يافا · وقد

اعترف مؤولاً ايضاً ان بعض طرود كانت تأتي باسمه من مصر .. (حكم عليه بالاعدام)

البرحمصي

كان اعترف باغفالات محمد المحمصاني ودخل في الجمعية . ولكن يدعي بانهُ اخيراً انفك عنها .. حكم عليه بالاقامة داخل القلعة خمس سنوات (قلعه بند)

محمود العجم

كان من ضمن الداخلين في فرع بيروت وكما اعترف هو بنفسه كان يؤدي عائداته منتظماً . واعترف ايضاً بانه كان قرأ المنشورات . (حكم عليه بالاعدام)

نايف افندي تللو

كان من ضمن الداخلين في الجمعية ومعتمداً ببقاع العزيز . وافاد ايضاً بانهُ كان ادخل بعض اشخاص فيها .. (حكم عليه بالاعدام)

محمد مسلم بن عابدين

كان يفيد بانهُ مع كونه غير داخل في الجمعية كان يكاتب حقي بك

العظم· الى انهُ قبل سنة او سنتين بعد البحث عن منزل المومى اليه كتب حقي بك خطاباً يتعلق بهذه المسئلة وبين في هذا الخطاب ان المومى اليه من ضمن الداخلين في الجمعية· وهذا الخطاب أريَ اليه · وكان معتمداً للجمعية في اللاذقية·· (حكم عليه بالاعدام)

سعيد افندي الكرمي

كان من الداخلين في الجمعية ومعتمداً لها في بني صعب· وكان أُرسل باسم المومى اليه تحرير من التحارير العمومية رقم ٤٠٣ · وقد انكر هو ذلك ولكن عند مواجهته بمحمد الشنطي افاد محمد الشنطي بانهُ هو الذي اعطاه التحرير المذكور بالذات (حكم عليه بالاعدام)

سليم الاحمد العبد الهادي

كان معتمداً بقضاء جنين· يصرّح ذلك خطاب مؤرخ في سنة ١٩١٤ (حكم عليه بالاعدام)

سليم بك جزائري

هو من الرؤساء الوحيدين الذين اولدوا فكرة الاستقلال العربي · وهو الذي اسس جمعية الضباط ··· (حكم عليه بالاعدام)

امين لطفي بك

كان رئيساً لفرع جمعية العهد بحلب. وقد تبين ايضاً انه بعد النفير العام القى الفساد بين الضباط العرب.. (حكم عليه بالاعدام)

عبد القادر الخرسا

كان من الداخلين في اللامركزية . وأتى باختام فرع اللامركزية من مصر الى بيروت . وهو نفسه كان من اعضاء فرع بيروت . (حكم عليه بالاعدام)

رشدي الشمعه

كان القى في دور التمثيل محاضرات تشجع الانفراد العربي واستقلاله وكان مشتركاً في تشكيلات الجمعية اللامركزية وفي جميع تشبثاتها السرّية بصفته عاملاً لها .. (حكم عليه بالاعدام)

محمد الشنطي

كان — كما اعترف هو بنفسه — من ضمن الداخلين في اللامركزية وكان القى بعض مكاتيب للامركزية سلمها الى بعض الارباب في سوريا .. (حكم عليه بالاعدام)

جورجي حدَّاد

كان من اعضاء اللجنة اللبنانية· واشترك في جميع تشبثاتها فعلياً واجتهد بنشرياته لاستقلال لبنان ·· (حكم عليه بالاعدام)

سعيد عقل

سعى في تشكيل مملكة عربية مستقلة وذلك بفعاله وحركاته ونشرياته في جريدة الاتحاد العثماني التي دخلها بواسطة رزق الله ارقش ·· (حكم عليه بالاعدام)

بترو باولي

لم يمضِ اوقاته التي انوجد فيها في عالم الصحافة الآ بالتلقينات والتشبثات والنشريات لاجل استقلال مملكة عربية ·· (حكم عليه بالاعدام)

بيطرعلي

كان من اعضاء القحطانية التم انقلبت اخيراً الى الجمعية الثورية العربية واللامركزية ووحّد مساعيه مع جميع الجمعيات المشكلة اخيراً للاستقلال العربي ·· (حكم عليهِ بالاعدام)

محمد سالم بن مصطفى مظلوم

كان استعمل في خدمات عبد الكريم الخصوصية : وعدا هذا فقد كان عضواً فعّالاً لعبد الحميد الزهراوي . وتبين انهُ انوجد في تلقينات تسوق الشبان الى اتباع فكرة الاستقلال العربى . . (حكم عليه بالاقامة داخل القلعة خمس سنوات « قلعه بند »)

امير طاهر

تبين انه اخبر المعتمد الفرنساوي بما يتعلق بالسوقيات العسكرية وهو الذي سهل فرار عبد الغني . وخلاف هذا فقد تبين انه اشتغل بحركات تدعو للقيام . . (حكم عليه بالاشغال الشاقة الموقتة)

نوري القاضي

من ضمن الداخلين في الجمعية . وكان يأخذ اختام الفروع ويذهب بها الى الاماكن العائدة اليها . وهو الذي كان يستلم الاوراق المضرة من بريد الفرنسيس . . (حكم عليه يالاعدام)

توفيق البسّاط

كان فرّ من الفيلق اثناء خدمته فيه وبقي فارًّا شهور عديدة . وكان يوزع

ما يأتي الى المنتدى الادبي من المنشورات السرية واعترف رفيق رزق سلوم بانهُ من الداخلين في تشكيلات اللامركزية · وثبت ان فراره هو وجلال البخاري من الجندية كان لاجل تهييج العربان ·· (حكم عليه بالاعدام)

جلال البخاري

كان فرّ مع توفيق البساط من الفيلق واشترك معه في جميع فعالهِ · وثبت ايضاً انهُ في الوقت نفسهِ كان يبذل المجهود قبل النفير العام في المسائل المختصة بالاستقلال الغربي ·· (حكم عليهِ بالاعدام)

رفيق بك العظم ، حقي بك العظم ، الشيخ سيد رضا ، داود بركات ، فارس نمر ، الدكتور شبلي شميل ، خليل افندي المطران ، ابراهيم النجار ، جورج عبد المسيح ، جبرائيل آصف ، نجيب بك عازوري ، الفرد عازوري ، جورج بحري الامير خليل ابو اللمع ، خليل بولاد ، حبيب بولاد ، نجيب بك البستاني ، امين بك البستاني ، يوسف البستاني ، فيليب شيحا ، نجيب قطان ، نجيب قريصاتي ، جورج دوماني ، جورج قريصاتي ، كافل اوه ، جان عبيه ، نجيب غناجه ، الدكتور غرزوزي ، نعمة الله غانم ، رافائيل غره ، ميشال بك لطف الله الدكتور يوسف كحيل ، الشيخ يوسف الخازن ، جورج خير ، رشيد بك خياط ادمون ملحمه ، الدكتور خليل مشاقه ، يوسف سمعان صيدناوي ، الياس حنين سليم بك شميل ، ماريوس بك شميل ، يوسف حبيب زنابزي ، الياس زهّار ،

الفونس زينيه ، فؤاد الخطيب ، قسطنطين يني ، حسن حماده ، عبد الحفيظ افندي بن محمود الحسن ، رزق الله ارقش ، سليم ثابت ، عزت العابد ، شكري غانم ، عزيز علي ، وبعض اشخاص آخرين …

هؤلاء الاشخاص منهم من كان يعد الافكار ومنهم من كان يهيئ الاسباب للقيام والاختلال سعياً وراء نزع بلاد العرب وفكها عن الادارة العثمانية لاجل تأسيس خلافة عربية تابعة لمصر تحت سلطة الانكليز العسكرية بعضهم من هو ساعٍ في ذلك بالفعل او شريك في هذه التشبثات . وبعضهم من كان مهيئاً لترتيبات القيام او داخلاً فيها . كلهم فارون .. حكم عليهم غيابياً بالاعدام)

محمد علي الحلبي

كان من الداخلين في الجمعية . وكان اسم المومى اليه محرراً في التذاكر التي ارسلت .. (حكم عليه بالاقامة داخل القلعة خمس سنوات « قلعه بند »)

رضا بك الصلح

كان اثناء الحرب العامة مع عبد الكريم في جهات صيدا وصور يجري التلقينات الباعثة لكسر القوة المعنوية وكان يعلن ان سوريا على وشك السقوط وان المواصلات انقطعت بين سورية واسكندرونة . وقال ان النقود

المديون بها الى اخيه سيردها بعد الاحتلال الانكليزي ٠٠ (حكم عليه بالنفي المؤبد)

رياض صلح بك

كان دائماً ملازماً لابيه ومشجعاً لحركاته ٠ حكم عليه بالنفي ثلاث سنوات وعند المحاكمة الثانية وجدت ادلة جديدة واتضحت افعاله في كثير من المنشورات فحكم عليه بالنفي موٌبداً

مصطفى سميسمه

كان داخلاً في التشكيلات السرّية اللامركزية ٠ الاّ انه كان يقول انهُ لم ينضم اليها الا لاعتقاده بانها جمعية خيرية وان منشوراتها لم يطلع عليها ٠ وكان يدعي بانـهُ اخيراً فارق بيروت وذهب الى حلب وانهُ من نحوسنة لم يتوجد في علاقة ما في بيروت ٠ ولم يتضح ان المومى اليهِ اشترك في تشبثات بالفعل ٠٠ (أعطي القرار بوضعه تحت مراقبة نظارة الضبطية مدة سنتين)

اسعد بك حيدر

ادّعى بانه لم ينضم الى هذه الجمعية لا هوَ ولا ابنه ومع ان المكتوب الذي كان ورد الى ابنه من مصر ابرز اليهِ فقد اصرّ في دعواه (اعطي القرار بنفيه سنتين)

حسين بك حيدر

كان يدّعي بانهُ من نحو سنتين ما كان موجوداً في سوريا ولم تكن له علاقة بالجمعية . فأعطي القرار اولاً بنفيه مدة سنتين ثم عند المحاكمة الثانية ظهرت وثائق كافية تدل عَلَى اشتراكه في جمعيات الاستقلال فشُدّت عقوبته .

يوسف سليمان المخيبر وتوفيق الناطور

هذان كانا في افسادات متمادية بين الشبان العرب . (حكم عليهما بالاشغال الشاقة الموقتة)

دواعي محكومية المرحومين

الخوري يوسف الحائك (سن الفيل) ويوسف بشاره الهاني
والشيخ فيليب والشيخ فريد قمدان الخازن

في جدول المحكومين المذكور آنفاً لم يقع نظرنا عَلَى اسماء ضحايا اولئك السفّاحين المرحومين الخوري يوسف الحائك ويوسف بشاره الهاني والشيخين فيليب وفريد قعدان الخازن . غير اننا قد افرزنا لهم هنا بعض الاسطر

(الخوري يوسف الحائك) — اول المعدومين — صورة الاشعار الوارد من قيادة الفيلق الرابع :

« ان الشخص المسمى يوسف الحائك احد رهبان الطائفة المارونية المقيم في قرية سن الفيل من اعمال جبل لبنان قد ثبت بالمحاكمة لدى ديوان الحرب العرفي في بيروت مخابرته مع رئيس مجلس المبعوثان الفرنساوي التي هي احدى الدول العدائية بما يتعلق باحوال سورية الحاضرة وخصوصاً جبل لبنان

ان الخوري المرقوم الذي تجاسر في مخابرتهِ مع اعدائنا بصورة قطع سلامة الوطن في التهلكة لقد حكم بالاعدام جزاءَ جرأتهِ على هذا الفعل واقترن حكم الاعدام بالارادة السنية وأُعطي الامر لاجل انفاذه حالاً ولذلك اقتضى اعلان الكيفية »

وكان وصول الارادة السنية باعدام الخوري المذكور في اليوم الثاني عشر من شهر اذار من سنة ١٩١٥ . وقد أُعدم هذا المنكود الحظ شنقاً في الشام في اليوم الثاني والعشرين من شهر اذار من سنة ١٩١٥

وقد تمكنا من الوصول الى معرفة واقعة الحال بواسطة تلميذنا القديم « متري » ابن الخوري يوسف المذكور وهي هذه : « ان للخوري يوسف ولداً يدعى انطون متوظفاً في الوكالة الافرنسية في مراكش . فكتب الخوري الى ابنه هذا كتاباً مطولاً فيه يخبره عن دخول العساكر التركية الى لبنان وعن محالّ اقامتهم وعن وجوب ارسال نجدة افرنسية عسكرية لتخليص لبنان . وكلف الخوري ابنه انطون ان يرفع بهذا الشأن تقريراً لمن يلزم من رجال فرنسة . فاطاع الابن امر ابيه وقدّم تقريراً بهذا الشأن علَى لسان والده الى

المسيو ديشانل رئيس مجلس النواب الفرنساوي. وبعد ان اطلع المسيو ديشانل عَلَى مضمون ذاك التقرير كتب الى الخوري يوسف كتاباً كله شكر عَلَى اخلاصهِ لفرنسه . فوقع الكتاب المشار اليه في يد المراقبة التركية وكانت المراقبة المذكورة قد وضعت يدها عَلَى كل الادارات البريدية فأُلقي القبض عَلَى الخوري وسجن ثم حوكم وأُعدم

﴿ يوسف بشاره الهاني ﴾ أُتهم انهُ كان من الجمعية الاصلاحية وانهُ كان يشتغل في سبيل استيلاء فرنسا عَلَى سورية وفي اعطاء مختارية كاملة لولاية بيروت تحت مراقبة فرانسا وحمايتها بالفعل . وقد أُعدم شنقاً في بيروت في اليوم الخامس من نيسان من سنة ١٩١٦

﴿ الشيخان فيليب وفريد قعدان الخازن ﴾ أُتهما بالجاسوسية لدولة فرنسا المعادية للدولة العثمانية . أُعدما شنقاً في بيروت في اليوم السادس من شهر حزيران من سنة ١٩١٦

وقفة امام المشانق في سورية (١)

بعد ان ذكرنا جدولاً باسماء الذين حكم عليهم بالاعدام رأينا من اللازم ان نطلع القارئ عَلَى شيء من الحوادث التي جرت اثناء اعدام البعض من اولئك الشهداء التاعسين

(١) قسم من هذه الوقفة ملخص عما نشره احمد ناصر في البرق وقسم استقيناه من موارده

اوّل المعدومين كان الخوري يوسف الحائك (سن الفيل) · سجن هذا الخوري في عاليه ومن هناك أرسل الى الشام · وفي صباح اليوم الثاني والعشرين من اذار سنة ١٩١٥ اقتيد الى المشنقة ولما اوقفوه تحت اعوادها أوعزوا اليهِ ان يصرخ : « فلتحيَ تركيا ويسقط اعداؤها » · أما هو فصاح باعلى الصوت : « فلتحيَ فرنسا ! فلتحيَ فرنسا ! » وقضى

وفي منتصف شهر آب من تلك السنه شاع في عاليه ان جمهوراً من المسجونين هناك سيعدمون قريباً · وانتقل ذاك الخبر المشؤوم الى بيروت والى كل انحاء الجبل · فاضطربت الخواطر كثيراً وهلعت قلوب الناس طرّاً وأخذنا نتساآل : من يا ترى اولئك المساكين · وكان عدد المسجونين في عاليه لا يُحصى

وفي اليوم العشرين من آب المذكور اخرجوا من سجن عاليه احد عشر شخصاً كان قد اتهمهم الديوان العرفي بارتكاب الجرائم الفظيعة المضرّة بسلامة الدولة التركية

أخرجوهم من السجن وأركبوهم عربات أقلتهم مخفورين بالجنود الى بيروت وكان ذلك عند المساء · وبقي جم غفير من اهالي بيروت ساهرين في تلك الليلة علَى ساحة البرج ليحضروا مشهد الاعدام ويعلموا من هم المعدومون

وقبل انتصاف الليل سُمعت طقطقة العربات تمرّ مسرعة علَى طريق النهر وكانت قادمة من جهة الجسر

ولم تمرّ تلك العربات من امام ساحة البرج بل عكفت من وراء النزل الخديوي (البنك العثماني القديم) وذهبت توًّا الى دائرة البوليس

والسبب من مرور العربات من تلك الجهة هو وجود المشانق منصوبة في ذاك الوقت عَلَى ساحة البرج فلم يشا اولئك الاتراك الظالمون ان يشاهد المحكومون بالاعدام آلة اعدامهم فانزلوهم من عاليه عَلَى طريق جسر الباشا ومن هناك اخذوهم عَلَى جسر نهر بيروت

وساعة بدأ العاملون بحفر الارض لتركيز اعواد المشانق كان المشهد مهيباً جدًّا وقبل ان يباشروا التركيز كانوا فرقوا كتائب الجند بالسلاح الكامل في كل الطرقات المؤدية الى ساحة البرج ومنعوا الاهالي من المرور هناك حتى الصباح

واثناء تركيز الاعواد كان انفار البوليس يتلصصون هنا وهناك علهم يسمعون حركة او ما يشبه الحركة فقد كان الاتراك في ذاك الحين اشدّ خوفاً من اهل البلاد وكانوا يخشون نشوب الثورة

وصلت العربات الى دائرة البوليس وهناك بلغوا المتهمين حكم الاعدام فلم تتبدل هيآتهم لانهم كانوا عارفين بمصيرهم

أُوقف كل المحكومين في غرفة واحدة والجنود تطوق تلك الغرفة من الخارج . اما المحكومون فكانوا :

عبد الكريم الخليل ، صالح بك حيدر ، محمد محمصاني ، محمود محمصاني ،

عبد القادر خرسا ، نور الدين القاضي ، علي الارمنازي ، سليم الاحمد عبد الهادي محمود النجم ، نايف تللو ومسلّم عابدين

وتقدّم عبد الكريم الخليل من قوميسير البوليس الواقف امامه وقال له :

ألا يحضر الوالي اعدامنا ؟

— كلاّ فيما اظن

— ومن يحضر اذاً ؟

— رضا باشا ومدير البوليس محيي الدين

اتريد ان تدعو لي قليلاً محيي الدين ؟

— بطيبة خاطر

وذهب القوميسير الى مدير البوليس وقال له : ان عبد الكريم الخليل يود ان يقابلك قبل ان يذهب الى المشنقة فهل تريد ان تلبي طلبه ؟ فأسرع محيي الدين مقبلاً نحو عبد الكريم . وكان عبد الكريم اثناء وجوده في الاستانة انقذ محيي الدين من السجن مرتين . فلما تقابلا قال له عبد الكريم بصوت ملؤه الشهامة وعزة النفس : « أتذكر يا محيي الدين انني انقذتك من السجن مرتين ؟

اذكر ذلك جيداً غير انني يا صاح عاجز الآن عن مكافأتك على حسن صنيعك فقد حكم عليك من يد هي فوق يدي

— انا لا اطلب منك الآن ان تنقذني لاني اعرف الحد الذي يبلغ اليه عرفان الجميل عند أُمة الترك . واني لواثق انك لو كُلّفت ان تضع بيدك حبل

المشنقة في عنقي لما تأخرت ولفاخرت اقرانك بعملك هذا

فتكدر محيي الدين من هذا الكلام وقال :

والآن ماذا تطلب يا عبد الكريم ؟

— اطلب مواجهة الوالي عزمي

— يستحيل علينا ذلك

— أتمنعون عن محكوم بالاعدام رغبةً يرجوها قبل موتهِ ؟

— قل ما تريد ان يعرفه الوالي منك وانا ابلغه كلامك حرفاً بحرف

— لا اريد الاّ مقابلته وجهاً لوجه · فان كان لا يجسر ان يقابلني فلا بأس · غير اني اطلب اليك ان تمنع كل تركي من الدخول عليّ وهذه هي ارادتي الاخيرة · قال هذا وترك عبد الكريم مدير البوليس واخذ يتمشى بسرعة وهو واضع يديهِ بجيوبه

ومنع مدير البوليس كل المأمورين الاتراك من الدخول الى غرفة عبد الكريم في تلك الساعة الرهيبة التي سبقت الاعدام

وكان المحكومون يسمعون في تلك الليلة من حين الى آخر وقع حوافر الخيل وصلصلة السلاح واوامر الضباط لفرقهم ان يذهبوا الى هنا وهناك

وجاء الى غرفة المحكومين نفر من البوليس يحمل حبراً واقلاماً وورقاً وقال لاولئك المساكين :

اكتبوا وصاياكم اذا شئتم

وخرج بعد ان ترك لهم الادوات على طاولة كبيرة موضوعة في تلك الغرفة فجلس شهداء الاوطان يخطون على الطروس آخر ما تمليه عليهم قلوبهم وعواطفهم قبل ساعة الاعدام

كتب كلٌّ منهم وصيته وتركها وديعة في يد دائرة البوليس لتسلمها الى عائلتهِ

وأُعلنت الساعة الرهيبة فصدرت الاوامر الى الجنود بالوقوف عَلَى سلاحهم ونادى منادي الويل في المحكومين فوقفوا يتأهبون للموت وفُتح باب الغرفة وتقدم رجال البوليس بسلاحهم وعددهم يخرجون المحكومين اثنين اثنين ويذهبون بهم بين صفوف الجنود المسلحين الى ساحة الاعدام

وكانت تلك الساحة خالية في ذاك الوقت وقد طُوّقت من كل جهاتها بصفوف المشاة والخيالة. وكان في صدرها رضا باشا قائد فرقة عاليه ومحيي الدين مدير بوليس بيروت واعضاء الديوان العرفي

واول من صعد الى منصّة الاعدام عبد الكريم الخليل وكانت الساعة تسير نحو الرابعة صباحاً . فوقف ذاك الشهيد الثبت الجنان ونادى بصوتهِ الجهوري قائلاً :

« قوانين العالم كلها تجيز للمحكوم عليهِ بالاعدام ان يقول ارادته الاخيرة قبل ساعة موتهِ . فهل يجيز لي قانونكم ايها الباشا (رضا باشا) ان اتكلم قبل ان يوضع الحبل في عنقي ؟

فوقف رضا باشا قليلاً لا يعطي جواباً ثم رفع رأسه وقال للشهيد :

« تكلم . لا بأس . »

قال عبد الكريم :

« يا ابناء امتي واهل بلادي . يريد الاتراك ان يخنقوا اصوات حريتنا في صدورنا . يريدون ان يمنعونا عن الكلام . ولكننا ستتكلم . سنعلن للملاء اننا امّة تريد الاستقلال . اننا امة تسعى الى الخلاص من نير الاتراك

انتِ يا ارض الوطن احفظي تذكارنا وانتِ يا سماء بلادي احملي الى كل سوري بل الى كل عربي سلام هولاء الشهداء وردّدي عليهم مأساتنا وكلامنا قولي لهم اننا عشنا لاجل الاستقلال وها نحن نموت في سبيل الاستقلال »

ونقطع هنا صوت ذاك الشهيد لان الكرسي كانت قد هوت من تحت اقدامه . فاختلج قليلاً وقضى في ذمة الامة والتاريخ

واقتيد الاخوان محمد ومحمود محمصاني الى المشنقة فاعتنقا هنالك طويلاً واخذ كل منهما يشجع الآخر عَلَى الموت . وصعدا معاً الى منصةّ الاعدام بقدم ثابتة ووجهٍ بسام . وكانت عين الواحد منطبعة في عين شقيقه

والتفت محمد بذاك المأمور المولّج بتنفيذ الاعدام وقال له :

« لي رجاء اليك قبل موتي وهو ان تتكرم وتنفذ الاعدام بي وبأخي في وقت واحد حتى لا يتعذب الواحد منا بمرأى اخيهِ يموت امامه . »

ولما وقف محمد امام المشنقة صاح بالجمع الذي كان هناك قائلاً :

« يشهد الله اني لم اخن وطني دقيقة واحدة. يشهد الله ان ما فعلتهُ وقمت به من الحركات التي أُتهمت بها انما كان عن اعتقاد ثابت لا يتزعزع باني اخدم بلادي وانجيها.. اني اموت شهيداً. فلتحيَ امتي ! وليحيَ العرب ! » ورفست الطاولتان بحركة واحدة من تحت اقدام الاخوين فقضيا.

وجيء بالمرحومين عبد القادر خرما ونور الدين القاضي. فوقف نور الدين عَلَى منصة المشنقة وقال :

« اني بريء يا ناس مما اتهمت به واني ارجوكم ان تبلغوا اخي سلامي. وقولوا له ان لا يتأثر ولا يبكي عليَّ لاني مت ميتة الابطال لم اسوّد لاسمي صحيفة لا في الحياة ولا في المماث. »

وهوت الكرسي من تحته فقضى مثل رفاقهِ

ولما وصل عبد القادر الخرسا الى المنصة قال :

« حكم علينا بالاعدام لمجرّد الرغبة في اعدامنا فقط. وليس الديوان العرفي الذي حكم علينا بل جمال باشا الذي طلب اعدامنا. سلموا يا اخوان عَلَى عائلتي قولوا لاخوتي ان يقبلوا عني يدي والدتي الحنون. قولوا لهم ليترحموا عليَّ الوداع... وهوى فقضى..

وعند الساعة الرابعة من الصباح كان كل شيء قد انتهى وكانت ارواح احد عشر شهيداً من ابناء هذه البلاد صعدت تلاقي ربها وتشكو الى عدالته ظلم الاتراك

وبعد ذلك جيء باحدى عشرة عجلة فانزلت جثث الشهداء عن اعواد المشانق ووضع كل واحد منهم في عربة وجلس عن جانبيه نفران من البوليس واخذوا الجميع الى الرمل حيث حفروا لكل منهم حفرة وواروه فيها

اما الاخوان محمد ومحمود محمصاني فقد وضعا معاً في حفرة واحدة

وابقت تلك الحكومة البائدة فرقة من رجال البوليس والجاندرمة حيال قبور اولئك الشهداء حذراً من سرقة اجسامهم

غير ان عائلة حيدر رشت البوليس المحافظ عَلَى حفرة فقيدها « صالح » واخذت جثته بعد دفنه بيوم واحد

✵ المرحوم يوسف بشاره الهاني ✵

كثيرون من المقرّبين الى جمال باشا تداخلوا في مسئلة العفو عن يوسف المذكور وكان ذاك الطاغية لا يظهر شيئا مما كان يكنه قلبه الشرير وكان قد صمّم النية عَلَى اعدام ذاك المنكود الطالع .. ويوم أُخرج الشهيد من سجنه في عاليه وأُنزل الى بيروت ظنّ اهله ومعارفه ان العفو شمله او انهُ سيرسل الى المنفى ليس الاّ . ولكن ما طلع فجر اليوم الخامس من نيسان سنة ١٩١٦ حتى رأيناه معلقاً عَلَى المسنقة في ساحة البرج

بعد ظهر اليوم الرابع من نيسان المشار اليهِ أُنزل المرحوم من عاليه الى بيروت فساروا بهِ توّاً الى دائرة البوليس حيث قابل امرأته وكان شاع على

كل الالسنة انهُ سينني كما قلنا فلم يضطرب لهما بال

وفي منتصف الليل جاء الخوري بولس شمعون الى الدائرة ليسمع اعتراف ذاك الشهيد فقال له وكيل مدير البوليس (حيث كان المدير غائباً) : يا محترم يمكنك ان تعود الآن الى غرفتك وعند الساعة الرابعة ترجع الى هنا · وفي الساعة المعينة رجع الخوري الى الدائرة · واثناء اجتيازه ساحة البرج وقعت عينه عَلَى اعواد المشنقة فتأثر كثيراً

وصل الخوري الى الدائرة فادخلوه احدى غرفها ينتظر ريثما يلبس المرحوم ثيابه · ونحو الساعة الخامسة دخل يوسف عَلَى الخوري وكان المسكين غرف بصيره · واول كلمة قالها للخوري : « أهذه هي النهاية ؟ » فأخذ الخوري يشجعه ويعزيه · فقال له يوسف : تأكد انني لست خائفاً من الموت غير انني آسف لتركي اولادي وهم صغار وبشديد الحاجة الى اهتمامي بأمرهم

وبعد ذلك اعترف وكتب وصيته بكل شجاعة · وقال لنا الخوري بولس انهُ كان يكتب تلك الوصية كانهُ جالس عَلَى مكتبه لم يضطرب ولم ترتجف يده ولم يتغير لونه · وهذه خلاصة ما اوصى :

خمسة وعشرون ليرة للفقراء ، توكيل اخيه حبيب بمهام بيته ريثما يعود اخوه نجيب من اوربا ، الايعاز الى يوسف فرنسيس قشوع وكيل اشغاله ان يحاسب اخوة الشهيد ببعض نتف دخلت عليهِ ولم يكن جرى بعد الحساب عليها

و بعد ان اتم وصيته هذه طلب ماء ليشرب فاحضروا له ماء وقهوة فشرب ثم نزع ازرار قميصه وربطة رقبته وسلمها الى الخوري بولس مع محفظة صغيرة فيها دبوس الماس ونحو ليرة ونصف من الورق التركي

وصدرت الاوامر بالذهاب بهِ الى الاعدام فالتمس ان يرافقهُ الخوري ويبقى معهُ لآخر نسمة من نسماته· فلم يرفضوا طلبه· ومشى الى المشنقة بشجاعة الاسد· وهاك آخر كلماته :

« انني بريء مما اتهمت به ، انني مظلوم اذ انني لم اخن دولتي ، انني اموت الان غير خائف ، انني اموت شهيداً ، وفي الموقف العظيم الرهيب ينال الظالمون جزاءهم

وبعد موته بيوم واحد اوصلوا الى عائلته الوصية والاغراض التي كانت مع الخوري

وفي اوائل شهر ايار سنة ١٩١٦ تهامست بيروت ولبنان بان سيعدم عدد من المحبوسين في عاليه· فلم يعد يغمض للناس جفن ولا يهنأ لهم عيش· وما كان اليوم الخامس من ذاك الشهر حتى اقتيد الى دمشق : عبد الحميد الزهراوي ، شفيق المؤيد ، الامير عمر ، شكري العسلي، عبد الوهاب الانكليزي ، رشدي الشمعه ، رفيق رزق سلوم

وفي ليل السبت الواقع في ٦ ايار علقوهم على المشانق فذهبوا شهداء الحرية والوطن !!

وفي ذاك اليوم الذي اقتيد من ذكرنا الى دمشق أُنزل الى بيروت كل من : عمر بن مصطفى حمد ، محمد حسين الشنطي ، عبد الغني العريسي ، عارف الشهابي ، توفيق البساط ، سيف الدين الخطيب ، الشيخ احمد طباره ، سعيد عقل ، باترو باولي ، جورج موسى الحداد ، سليم محمد سعيد الجزائري ، علي حاجي عمر ، امين لطفي بن محمد حافظ ، جلال بن سليم البخاري

وقبل ان وصل هولاء الشهداء الى بيروت كان البوليس قد انذر الاهالي الجالسين في المحلات العمومية ان يغادروها واوجب عَلَى اصحابها اقفالها معجلاً ونحو انتصاف الليل (٦ ايار) تفرّقت فرق الجنود في كل النقاط الموصلة الى ساحة البرج · ولم يعد يسمع في ذاك الليل الهائل غير وقع المعاول في الارض لتركيز اعواد المشانق

وبعد قليل سمعت طقطقة العربات التي كانت نقل اولئك الابطال الى دائرة البوليس حيث بُلّغوا حكم الاعدام

أُتوهم بادوات الكتابة ونوازمها ووضعوها عَلَى طاولة واسعة في احدى غرف الدائرة حيث كانوا جمعوهم كلهم وقالوا لهم ان يكتبوا وصاياهم

جلس البعض من اولئك الشهداء للكتابة بينما كان آخرون يتمشون في تلك الغرفة شاتمين الدولة التركية

وقد صاح امين لطفي بمأموري البوليس قائلاً :

« اين هي هيأة الديوان العرفي ؟ كيف نبلغ حكم اعدامنا بدون ان يما كونا

او يسمعوا اقوالنا ؟ ماذا جنينا يا ناس ؟ اهذا جزاء خدمتنا للدولة ؟ »

وكان سليم بك الجزائري يقول : « اهكذا تحكم الدولة التركية بالاعدام على من خدمها العمر كله ولبس ثوبها العسكري الذي هو شرفها ؟ اهكذا يعاملون الضباط واركان الحرب ؟ »

ولما انتهى اولئك المنكودو الطالع من كتابة وصاياهم جاء بوليس وأخذها منهم . ثم سألهم احد القوميسيرية ماذا يريدون قبل ان يعدموا . فطلبوا شيخاً وكاهناً

وأتوهم بشيخ وكاهن من الطائفة المارونية (الخوري بولس راشد : مات بالتيفوس) . وصل الشيخ الى عبد الغني العريسي وقال له : « استشهد يا عبد الغني »

فوقف ذلك الشاب الشهيد وقال باعلى الصوت : « اشهد ان لا آله الاّ الله . واشهد ان محمداً رسول الله . واشهد ان الخلافة للعرب ان شاء الله »

وتقدم كل من المرحومين سعيد عقل وباترو باولي وجورجي الحداد وركعوا امام الكاهن واعترفوا له بكل شجاعة

وبعد ما انتهوا كلهم من اتمام الواجبات الدينية جاءهم بوليس وانزل قسماً منهم الى الدائرة . وقبل ان يفترقوا ذلك الفراق الابدي التفت امين لطفي الى رجال البوليس والى الجنود الواقفين امامهم وقال :

« انتم يا ابناء هذه البلاد التعيسة ربّوا اولادكم على بيع الخضر وصنع

الفول والحمص وإياكم ان تدخلوهم في خدمة الدولة التركية · انسحبوا انتم من وظائفكم واشتغلوا بنسج الاحذية والعتالة و باقي الحرف الدنيئة فذلك افضل لكم واضمن لحياتكم من ان يصيبكم ما اصابنا نحن الآن

كنا نخدم الدولة بارواحنا واجسامنا وعقولنا · فاذا هي تأتي بنا من بين الخنادق والقنابل حيث كنا نحارب للدفاع عنها وتضع الحبل في اعناقنا للاعدام · لعنات الله عليها و بئس الجزاء جزاء خدمتها »

و بعد ذلك احضر البوليس القمصان البيضاء التي كانوا اعدوها للشهداء وأعطوا كلاً منهم قميصاً

وجمع عمر حمد رفاقه حوله وأخذوا يرددون بصوتٍ عالٍ و بنغمٍ واحد وهم يتمشون في الغرفة

نحن ابناء الاولى شادوا مجداً وعلا

هكذا كانوا يسيرون الى آلة الاعدام غير هيابين الموت

وعند الساعة الثالثة بعد انتصاف ذلك الليل الرهيب استعدّ الجنود ورجال البوليس لتنفيذ الحكم · ودخل نفر من البوليس الى غرفة اولئك الشهداء فنادى ثلاثة منهم : سعيد عقل و باترو باولي وجورجي الحداد · فلما سمع الشهداء صوت البوليس علا ضجيجهم واخذوا ينادون بأعلى الصوت : « خذونا كلنا معاً الى المشنقة · ما احلى الموت في سبيل الوطن ! ما اعذب المشنقة في سبيل الاستقلال والحرّية ! »

اخذ الجنود اولئك الشهداء الثلاثة مكبلين بالقيود الى ساحة الاعدام وكان الظلام دامساً والسكينة المخيفة سائدة في كل بيروت وبالاخص عَلَى تلك الساحة لا يسمع فيها الاّ صدى اصوات الشهداء الذين كانوا يرددون نشيدهم «نحن ابناء الاولى شادوا مجداً وعلا» او صهيل جواد جندي او طقطقة سيف ضابط عَلَى بلاط الشارع

تقدم الثلاثة الى الصف الاول من صفوف المشانق التي كانت منصوبة في الجهة الغربية من ساحة البرج · ففحص الطبيب اجسامهم (لان القانون لا يجيز اعدام المريض) · وكان ضابط من ضباط الديوان العرفي يتلو نص الحكم بالاعدام محركاً رأسه ويديه بطريقة مزعجة

فغضب باترو باولي وصرخ بمن كان حاضراً من المأمورين قائلاً : «عجلوا بتنفيذ حكمكم وخلّصونا من وجوهكم القبيحة · كان الاولى بكم بدلاً من ان تفحصوا اجسامنا بدقة ان تحاكمونا بعدل ·· تأكدوا اننا لا نخاف الموت ولا نهاب المشنقة · خلصونا ! عجلوا !» وصعد من تلقاء ذاته الى منصة المشنقة ورفس الكرسي برجلهِ فهوى وقضى

وجاء دور جرجي الحداد · فصعد الى المشنقة وبكل بسالة رفس الكرسي فقضى بدون ان ينبس ببنت شفة

ولما وقف سعيد عقل عَلَى منصة المشنقة التفت الى الواقفين حوله قائلاً : «غفر الله لمن ظلمني · واني اسأل ربي ان يكون دمي الذي يراق الآن

لآخر نقطة منهُ سبباً في المستقبل لحياة بلادي وشرفاً لعائلتي واولادي »

ثم التفت الى الطبيب الواقف امامهُ وقال له :

« رجائي اليك وانت من اهل بلادي ان تهوي بكل قوتك عليَّ حال تعليقي لان خفة جسمي تمنع انقطاع حبل حياتي بسرعة »

وبعد بضعة ايام اجتمع ذاك الطبيب باحد معارفه فقال له والتأثير بادٍ في عينيه :

« لم تدمع عيني امام المشانق الاّ عند سماع كلام المرحوم سعيد عقل · واني لاستشهد الله وانبياءه عَلَى براءتهِ وطهارة ضميره · فرحمات الله عليهِ وعَلَى جميع رفقائهِ الشهداء »

وأتى الجنود بعد ذلك بعمر حمد وعبد الغني العريسي والامير عارف الشهابي · وكان البوليس قد أخرج اولاً من الدائرة عبد الغني وعمر حمد فقط · فالتفت اليهِ عبد الغني قائلاً :

« اذهب الى رئيسك وقل له ان عبد الغني يطلب ان يعدم مع رفيقه الامير عارف · انني عشت معه واست احب ان افترق عنهُ في المات »

فذهب البوليس ثم عاد فقال لعبد الغني :

« لا بأس · فسيذهب الامير معك »

ولما وقف عمر حمد عَلَى منصة المشنقة خاطب رضا باشا ومدير البوليس باللغة الافرنسية ما تعريبه :

« اني اخاطبكما باللغة الافرنسية لانكما لا تفهمان العربية. بلّغا حكومتكما التركية الظالمة ان العمل الذي يعمله رجالها الان سيكون سبباً لخرابها وتقريض اساساتها .»

ثم التفت الى بقية الحاضرين وقال بالعربية :

« اني اموت غير خائف ولا وجل. اموت فداء الامة العربية . خُسفت يا هلال وشُلّت يمينك يا جمال. فليسقط الاتراك الخونة وليحيَ العرب ! »

ولما وصل الشهيد الى كلمة (فليسقط الاتراك الخوَنة) اشمأز منهُ الموكل بامر تنفيذ الاعدام فضرب الكرسي من تحت المرحوم عمر قبل ان تتمكن الحبلة من عنقه فهوى ذاك المسكين الى الارض وهو بين حيّ وميت. فما كان من خساسة ذاك الوحشي الاخلاق وقساوته البربرية الاّ ان وخزه بسيفه شاتماً لاعناً ثم حمله مع رفيق شرير مثله ووضع الحبلة في عنقه رغماً عن سيلان الدم بغزارة من جرح بليغ كان قد اصابهُ في راسه من جرّاء سقطته ومن جرّاء ضربة ذالك البربري

والتفت عبد الغني عند هذا الحادث الفظيع الى الواقفين من مأموري الحكومة وقال لهم :

” عار عليكم ان تعذبوا المحكوم عليه بالاعدام الى هذه الدرجة. ان الانسانية ستنتقم منكم علَى هذه الاعمال “

وجاء دور عبد الغني العريسي فوقف علَى منصة المشنقة وحاول البوليس

ان يسرع في وضع الحبلة في عنقه ليعدمهُ فالتفت اليهِ عبد الغني قائلاً لهُ باشمئزاز :

« دعنا نتكلم يا هذا واحترم ارادة رجل يموت »

وكأنّ قلب ذلك الرجل الشرير قُدَّ من صخر فاجابهُ هازئًا : « ولماذا الكلام ؟ ومن يسمعك ويعتبر كلامك الان يا عبد الغني ؟ » واراد ان يضع الحبلة بسرعة في عنق الشهيد فنفر منهُ ذاك البطل والتفت الى الناس وقال بصوت جهوري :

« بلّغوا جمال باشا ان الملتقى قريب وان ابناء الرجال الذين يقتلون اليوم سيقطعون في المستقبل بسيوفهم اعناق الاتراك · ان الدول لا تبنى عَلَى غير الجماجم وان جماجمنا ستكون اساساً لاستقلال بلادنا » وكانت الكرسي قد هوت من تحته فتغلغل صوته في صدره وقضى

وعجل البوليس باعدام الامير عارف الشهابي قبل ان يتمكن من ان ينطق بادنى كلمة

ونفذ الحكم بعد ذلك بالشيخ احمد طباره ومحمد الشنطي · وحان دور توفيق البساط فوصل الى امام الساحة وكان الفجر بدأ يكشف بانواره سواد الليل المشؤوم فرفع نظره نحو السماء ورأى عَلَى اعواد المشنقة احد عشر شهيداً من نخبة ابناء الوطن كانوا من ساعة يكلمونهُ واذا هم الآن جثث لا حراك بها ولا حياة · شاهد توفيق ذلك المشهد المرعب المؤثر فتجسمت فيه روح

الشجاعة والبطولة فصاح بصوت جهوري مخاطباً تلك الارواح العزيزة وتلك الآلة التي اعدمتهم :

« مرحباً بارجوحة الشرف ! مرحباً بارجوحة الابطال ! مرحباً بالعمد التي تسند اليها الشعوب في استقلالها ! مرحباً بالموت في سبيل الوطن الحر ! »

وكان اثناء كلامه هذا يمشي الى المشنقة بسرعة الطير . وما انجز كلمته الاخيرة حتى كان قد اعتلى منصة المشنقة فوضع بيده الحبلة بعنقه وبسرعة البرق رفس الكرسي من تحته وقضى شهيداً مثل رفاقه

وعندئذٍ التفت رضا باشا الى البوليس وقال له :

« من بقي عندكم ؟ »

— الضابطان سليم الجزائري وامين لطفي

وكان المذكوران من كبار ضباط الجيش العثماني ومن اركان حربه

فنهض اذ ذاك رضا باشا مسرعاً الى دائرة البوليس حيث قابل الشهيدين ودامت المقابلة نصف ساعة

وكان امين لطفي يقول لرضا باشا :

« ليقل لنا الديوان العرفي عَلَى الاقل كيف حكم علينا بالاعدام . كيف انهم لم يستنطقونا ! ولماذا لم يسمعوا كلامنا ؟ هذا هو جزاء خدمتنا للدولة ؟ . . »

فقال لهما رضا باشا : « اني اخابر الآن القيادة العليا بشأن العفو عنكما »

وجلس حالاً الى التلفون وطلب مخابرة جمال باشا فأجيب انه متغيب وان

فخري باشا وحده في القيادة . فطلب مخابرته . وطالت بينهما المخابرة بدون جدوى لان الجواب كان يرن دائماً من بوق التلفون بهذه الكلمة : «اولماز» (غير ممكن). فالتفت اذ ذاك رضا باشا الى الضابطين وهو كئيب وقال لهما : « ما بيدي حيلة . فان شئتما تفضلا الى التلفون وخابرا انتما فخري باشا »

فتقدم سليم الجزائري واخذ بوق التلفون وكلم فخري باشا بلهجة الشجاعة والبطولة . غير ان ذاك العاتي كان يجاوب دائماً : « اولماز » اخيراً رمى الجزائري بوق التلفون عَلَى الارض وكسره شاتماً الدولة ورجالها الظلام

ومشى الضابطان معاً (الجزائري ولطفي) بثيابهما العسكرية فوصلا الى امام المشانق وكان قد مضى عَلَى اعدام الاثني عشر شهيداً اكثر من ساعة . وصلا الى هناك وانوار النهار انبسطت عَلَى بيروت الحزينة

وقد اراد البوليس ان ينزع قبعة الشهيدين عن رأسهما والشارات العسكرية عن اكتافهما فرفضا . وأمر رضا باشا البوليس ان يتركهما عَلَى حالهما

فصعد الجزائري اولاً الى منصة المشنقة ونظر الى الحاضرين قائلاً لرضا باشا :

« قل لهذا الخنزير الكلب جمال ان لا يفرح بموتي فان روحي ستظل حية وستعلّم ابناء البلاد من وراء القبر درس الوطنية الحرّة و بغض الاتراك »

وجاء البوليس ليضع الحبلة في عنق ذاك الشهيد محاولاً ان ينزع نظارتيه عن عينيه فمانع الشهيد قائلاً له بنبذة الآمر :

« اعدمني عَلَى حالي كما عشت لاني لا اريد ان اموت وفيَّ شيء ناقص »
وهكذا قضى ذاك البطل · وأعدموا بعده رفيقه امين لطفي الذي صعد الى منصة المشنقة بوجه ضحوك مردداً النكات المزلية · هازئاً بالدولة التركية

وعند الصباح نقلت جثث الاربعة عشر شهيداً الى الرمل قرب اخوانهم الذين أُعدموا قبلهم · وهناك غيبهم الاتراك في حفر مهملة · غير ان التاريخ جعل تلك الحفر العزيزة ابدية خالدة

وهنا سبيل لان ننبه القرّاء ان شكري باشا رئيس الديوان العرفي في ذاك الحين تلقى من قبل ذاك الطاغية « جمال » امراً بوجوب اعدام سبعين شخصاً من نخبة ابناء بلادنا التاعسة · وكان يشفع امره هذا بلائحة تضمنت اسماء اولئك الاشخاص · فنقّب شكري باشا كل التنقيب علهُ يتوصل الى تذنيب اولئك الاشخاص فيحكم باعدامهم · غير انه لم يرَ الى ذلك سبيلاً فسافر من عاليه الى الشام حيث قابل جمال باشا مراراً عديدة مبيناً له ان لا ذنب عليهم ولا شبهة ذنب وان وجدانه لا يمكنهُ من الحكم عليهم · بيدَ ان ذاك الطاغية الذي فُطر عَلَى الاخلاق الدموية ورضع حليب البربرية كان يوجب عَلَى شكري باشا ان يحكم عليهم بالاعدام كيف كان الامر

وبعد أَخذٍ وردٍّ في الامر عاد شكري باشا من الشام مقنعاً جمال بالحكم باعدام الاربعة عشر شهيداً فقط · وهكذا صار

ولا يخفى عَلَى من تتبع سير الحوادث والاحوال في تلك الايام المشؤومة

ان شكري باشا عجّل فترك وظيفته بعد ان نفذ حكم الاعدام باولئك الشهداء
. ويعد اعدام الاربعة عشر اذاع جمال السفاح منشوراً ابان فيه انهُ
قد انتهى امر اعدام المتهمين بالخيانة . ولكنه لم يمضِ شهر واحد عَلَى الحادث
الرهيب الذي اضطربت لهوله بيروت ولبنان حتى ذاع الخبر المشؤوم بان سيعدم
الشقيقان : الشيخ فيليب والشيخ فريد الخازن

في اول حزيران سنة ١٩١٦ قرأ مستنطق الديوان العرفي بعاليه جريدة
استنطاق كل من الشيخين فيليب وفريد الخازن. قرأَ تلك الجريدة وكانت
مكتوبة باللغة التركية لا يفهم منها الشيخان حرفاً واحداً . قرأها المستنطق
وطلب اليهما ان يوقعا عليها فقالا له : أَلا تسمح ان تعرّب لنا تلك الجريدة
لكي نفهم مضمونها ؟ فقال لهما المستنطق : لم اقراء عليكما الاّ نص كلامكما بلا
زيادة ولا نقصان . ففهم الشيخان من بعض القرائن انه محكوم عليهما بالاعدام
فالتمسا مواجهة اهلهما . وعملا وصيتهما (في عاليه) وهذا ملخصها :

انا نودّع جميع الاهل والاصدقاء وبطريرك ومطارنة واعيان الجبل .
نودع كل لبناني في لبنان وفي المهجر . سنموت فداءً عن لبنانِ ونحن ابرياء مما
اتهمونا به . . . لم يبقَ من سلالة قعدان الخازن الاّ كلوفيس ابن احدنا فيليب .
انا نقيم وصياً عليه سيادة المطران عبدالله الخوري ونلتمس من سيادته ان يربيه
التربية الدينية . فان أبدى هذا الولد ميلاً الى الكهنوت نرجو ان يلبّي .
ونأمل من والدته عدم الممانعة بهذا الامر واذا شاء الله وكبر هذا الولد ونضج

دماغه تُسلّم اليهِ اوراقنا التاريخية المتعلقة بلبنان حتى يكمّل ما بدأنا به

هذه الوصية أُوصلت بحسب رغبة الشيخين من يد سميح الكزبري الحسيني الى الخوري يوسف طنوس الخوري الاهمجي (وكان هذا الخوري يعلم يومئذٍ في عاليه في المدرسة الوطنية لصاحبها الياس شبل الخوري)

وارفقا تلك الوصية بكتابة الى الخوري يوسف المذكور فيها يقولان له أن لا تفتح الوصية ولا تُسلّم الى اهلهما الاّ بعد اعدامهما · واذا حفظتهما العناية الالهية ترجع الوصية اليهما

وفي يوم السبت الواقع في ٣ حزيران وصلت الى عاليه السيدة هند امرأة احدهما فريد ومعها والدتها السيدة لبيبه فقابلهما الشيخان بكل بشاشة وبكل رباطة جأش وقالا لهما ان شاء الله بعد كم يوم نشاهد الجميع بخير ...

وبعد ظهر الاثنين (٥ حزيران) أُنزل الاخوان من عاليه الى بيروت · أخذوهما رأساً الى دائرة البوليس وأتوهما بكاهن ماروني (الخوري يوسف اسطفان) فاعترفا له بكل خشوع وكل شجاعة وطلبا ان يبقى معهما الخوري لآخر نسمة من حياتهما فكان لهما ذلك

وقبل ذهابهما الى آلة الاعدام عملا وصية سلماها الى الخوري يوسف اسطفان واعطياه ايضاً الدراهم التي كانت معهما وصلبانهما وذخائرهما ومحابسهما الذهبية · واثناء سيرهما الى المشنقة كانا يرتلان بكل سرور ورباطة جأش طلبة العذراء سيدة وحامية لبنان ·

وأعدم الشيخ فريد اولاً وهو يقول : فداء لبنان ! وفداء فرنسة صديقة لبنان !

• اما الشيخ فيليب فعندما شاهد اخاه معلقاً جثة لا حراك بها خارت قواه من الحزن فسقط على الارض فحملوه واصعدوه الى المشنقة حيث تقطعت انفاسه بدون ان يقول كلمة . وكان ذلك في صباح اليوم السادس من حزيران . وقد شمل الحزن عليهما كل الجبل وكل بيروت

و بعد الاحتلال الفرنساوي اهتدت الاسرة الخازنية الى الحفرة التي دفن فيها الشيخان المأسوف عليهما كثيراً بواسطة عبد الرحمن غلاييني وهذا كان من انفار البوليس البيروتي يوم اعدامهما وهو الذي رافق جثتيهما الى الرمل . وقد وضعت رفاتهما ضمن تابوت محفوظ في الوقت الحاضر في كنيسة ماري جرجس للموارنة (في بيروت)

وكأن الاتراك الانذال ارادوا الحط من مقام الاخوين الشهيدين فاعدموا معهما ثالثاً مسكيناً لم يجنِ ذنباً سوى فراره من الخدمة العسكرية لجوعه

كيف كانوا يعيشون في سجن عاليه

يومَ جعلوا الديوان العرفي في عاليه اقاموا هنالك سجنين : الاول لحبس المجرمين السياسيين الذين كان لهم علاقة بالجمعية العربية (وكان مركزه على

محطة السكة الحديدية) . والثاني لحبس المجرمين المختلفي المشارب (وكان مركزه في عاليه)

اما ذوو العلائق بالجمعية العربية فكانوا مسجونين كلٌّ بغرفته وكان التدخين ممنوعاً عنهم ولم يكن يسمح لهم ان يقتربوا من نوافذ السجن لينظروا النور الخارجي والويل لمن كان يخالف فقد كان يجازى برصاصة المحافظين على ذلك السجن المظلم . وكان محظوراً عليهم مخابرة اي كان . وكانوا يجلدون معظمهم ليلاً . ولم يكن يقدّم لهم طعام الا بواسطة خدم وحشم السيدة انيسة كركبي صاحبة مطعم وندسور وكان مطعم حضرتها في ذاك الحين في الطابق السفلي من سجن عاليه . اما ما سُلب من الاموال في ذاك العهد المشؤوم من جيوب اولئك المساكين فان انيسه الموما اليها تفيد القارئ عنه (هذا اذا كانت ذاكرتها قوية)

ومما رواه لنا ثقة ان احد المحافظين وكان اسمه عثمان سجن وعُزل من وظيفته لانه مكّن يوماً احد اولئك المسجونين من النوم على سرير نظيف .

اما السجن الثاني فكان من اوسخ الاماكن واقذرها . ولم تكن السلطة العسكرية تسمح بتنظيفه فتفشت فيه الامراض المتنوعة وفتكت فتكاً هائلاً باولئك المسجونين الذين كانوا هنالك اكداساً . ومن نجا منهم من الامراض كانوا يهتمون بتجويعه فلم يكن يسمح لهم بمشترى شيء من الاطعمة الاّ عندما

يروق لاولئك الظلام ارباب ديوان عاليه · واضطر مرّةً اولئك المسجونون التعساء ان يمسكوا لشدة جوعهم هرًّا دخل صدفة الى سجنهم فذبحوه ليأكلوه فبصر بهم احد المحافظين وكانوا مهتمين بسلخ جلد الحيوان فأخذهم وجازاهم بالضرب المؤلم

كلمة الى ديوان عاليه

منذ تأسيس الممالك والدول وتنظيم القوانين والاحكام كان ذوو الامر والنهي يذيعون الاحكام العرفية في البلاد الخاضعة لسلطانهم اذا شبت هناك نار حرب او نشبت هنالك ثورة · وفي كلّ ما مرّ من الاعصار لم تسطر التواريخ ان ارباب الاحكام العرفية عاقبوا من اذنب في زمنٍ سبق اذاعة تلك الاحكام · ومن المعلوم ان الاحكام العرفية وُجدت لمعاقبة المجرمين السياسيين الذين يسببون القلاقل والفتن والذين يرتكبون الفظائع المضرّة بسلامة الدولة المذاعة فيها تلك الاحكام · فعلى ايّة مادة من مواد القوانين الجارية والمتعارفة في كل دول الارض استند اصحاب ديوان عاليه حتى حكموا عَلَى من لا ذنب لهم واستباحوا دماءهم الزكية ؟ هل كان اولئك الابرياء سبباً لدخول الدولة في الحرب ؟ هل انهم هيجوا خواطر الرعية واثاروا الفتن في داخل البلاد ؟ ألم يكن كلهم في ابان الحرب خالدين الى الهدو والسكينة ؟ ... يا ارباب

ديوان عاليه ! قلتم ان بعضهم كان موءسساً للجمعية الفلانية والفلانية الخ · وان الآخر كان عضواً من اعضائها وان غيره كان مشجعاً لها وهلمّ جرًّا · لكن بحقكم متى واين وكيف تأسست وتشكلت تلك الجمعيات ؟ تقولون في كتاب ايضاحاتكم وهي اكبر شاهد عَلَى فظائعكم ومظالمكم ان كل الجمعيات التي مر ذكرها تأسست قبل الحرب وباوقات مختلفة · منها من اثني عشر عاماً ومنها من عشرة اعوام ومنها من ثمانية ومنها من ستة · تقولون ان اكثر تلك الجمعيات تاسست في الاستانة وكانت تنشر مبادئها وتبث آراها وافكارها في جرائد سلطنتكم المحروقة · تقولون ان البعض من موءسسيها واعضائها كانوا في مجلس الاعيان والمبعوثان وتقولون ان الوزارات التي كانت تتوالى في هاتيك الايام بعد اعلان الدستور كانت تشد إزر تلك الجمعيات وتطلب الى اعضائها المنبثين في الولايات العثمانية ان ينظموا لوائح الاصلاح ويرفعوها الى المراكز الايجابية كي يجرى بموجبها فما اصلحتم شأناً ولا أنصفتم شعباً ولا راعيتم عهداً ولا عرفتم حقاً · وبدلاً من الاصلاح ارقتم الدماء الزكية لمجرد الرغبة باعدام من تكرهون ما ردعكم ضمير ولا زجركم دين

(تنبيه) اضطرنا سياق الكلام عَلَى ديوان عاليه الى ذكر المحكومين في سنتي ١٩١٥و١٩١٦ قبل ان نصل في تاريخنا الى مرد حوادثهما فنبهنا الافكار الى ذلك (١)

---

(١) يظهر ان كتاب ايضاحات ديوان عاليه كتب في سنة ١٩١٧ قبل انسحاب

بلاغ جمال باشا بشأن الزحف على ترعة السويس

الاستبداد بمسئلة التجنيد — البدل العسكري — ضرائب التنك واكياس الجنفيص — طلب بطريرك الموارنة الفرمان السلطاني له ولمطارنة طائفته

ما طلع هلال كانون الثاني من سنة ١٩١٥ حتى اذاع جمال باشا بلاغاً ماسياً أبان فيه انه قد حان وقت استرجاع مصر من حوزة الانكليز وأمر ولاة الامور المكلفين بادارة الاحكام في منطقته العسكرية ان يسرعوا بتجنيد كل من كان قادراً على حمل السلاح بلا تفريق في المذاهب والاديان. ولا تسل اذ ذاك عن استبداد مأموري شعب اخذ العسكر في بيروت وملحقاتها. فيدّوا في بادئ الامر كل من راموا قيده بلا مراعاة الوجدان والضمير صلح المقيد للخدمةالعسكرية او لم يصلح صغيراً كان او شيخاً قادراً اوعاجزاً ثم اخترعوا حيلة البدل العسكري وكانت تبلغ قيمته ٤٤ ذهباً عثمانياً فتمكنوا بهذه الواسطة من جمع الاموال الطائلة. وبعد ذلك قالوا لدافعي البدل: «بكل اسف نيفدكم انه وردتنا مؤخراً من قبل قائد الفيلق الرابع الهمايوني اوامر مشدّدة برفض

جمال باشا من القيادة العليا لكن الايدي لم تتداوله قبل سنة ١٩١٨

ثبت لنا انهُ كان لسيادة المطران بولس عوّاد نفوذ قوي عند محمد رضا باشا. وبواسطة نفوذه هذا تمكن من اخلاء سبيل بعض المسجونين في عاليه ودفع ويلات المنفى عن عدد غير قليل من اللبنانيين. لذلك نسطر اسمه هنا بمداد المديح تخليداً لهذه المأثرة

كل بدل عسكري . بناءً عليه يجب سوق الجميع الى ترعة السويس ساحة الشرف . اول واجبات حب الوطن ان تستميت الرعايا في سبيل الدخول الى مصر.» قالوا هذا ولم يُرجعوا بارة الى اربابها . وهكذا ارسلوا الشبان والشيوخ والعجز الى تلك الترعة حيث سلم من سلَّم وحيث هلك تسعون بالماية من الظلم والجوع والوبا الذي تفشى في صفوف الجنود . ومما يستحق الذكر ايضاحاً للمظالم التركية انهم كانوا يجبرون العساكر من ذوي العنصر العربي عَلَى نقل الاحمال الثقيلة الى مسافة ثلاثة ايام واربعة بدون ان يقدّموا لهم كسرةً من القوت . وقليلاً ما كانت تجود ايدي اولئك الطغاة فيسمحون لكل فردٍ من الجنود بجراية من الخبز لا يتجاوز وزنها الاوقية .

اما الخوف في بيروت وملحقاتها فكان شاملاً الجميع من جرّاء ما كان يقاسي ابناؤهم المتجندون من هول الاستبداد والضرب . وكثيراً ما كان يتمكن البعض من الهرب من ساحة القتال فكانوا يأتوننا الى لبنان حفاةً عراة اصبحت جسومهم اشباحاً . اما المال المصروف في بيروت وتوابعها في سبيل الرشوة تملصاً من التجنيد ومن فظائع تلك الدولة الفاغرة فمها لابتلاع شعبها فقد كان يزن القناطير المقنطرة من الاصفر الرنان

وفي تلك الاثناء ضربوا عَلَى اللبنانيين ضرائب التنك واكياس الجنفيص فاجبروا الجميع عَلَى تقديم عدد معلوم من ذلك . ومن خلا بيته من تلك البضاعة دفع عنها بدلاً نقدياً . وحتى يزداد الطين بلة كان الجنود المكلفون

بتنفيذ تلك الاوامر يدخلون المنازل ويفتشونها منقبين في زواياها وكانوا يسلبون منها كل ما تصل اليه ايديهم الشقية ٠٠ وتوفيراً لراحة الضباط (هكذا كانوا يقولون) أخذوا من القرى المجاورة للنقط العسكرية عدداً وافراً من الفرشات والاثاث والاواني النحاسية (١)

ولم يكتفِ جمال الطاغية باستبداده بالشعب بل سولت له نفسه الامارة بالسوء ان يبسط سيطرته علَى روٴساء الدين فاوعز بواسطة اعوانه الاشرار الى غبطة بطريرك الموارنة ان يطلب الفرمان السلطاني له وللسادة مطارنة طائفته خلافاً لكل عادةٍ سبقت ٠ فحاول السيد البطريرك في اول الامر ان يخرج من ذاك المأزق الحرج بطريقة من الطرق غير ان ذاك السفاح كان مصرًّا علَى رأيه ملحاً بوجوب طلب البطرك للفرمان والاَّ لما راعى له مقاماً ولا نفَّذَ له احكاماً ٠ فخشي البطريرك في عهد الظلم ذاك وخامة المغبة ودعا اليه مطارنته ٠ وبعد المباحثة بالامر نظموا مرغمين قراراً بطلب الفرمان رفعوه الى الاستانة بواسطة جمال باشا

---

(١) وكانت نتيجة زحف جمال باشا على ترعة السويس ان عساكره انكسرت شرَّ انكسار فعاد وعن يمينهِ في سيارتهِ الفخيمة الآنسة (روكا) التي توصل اليها بواسطة حاخام اليهود في القدس الشريف ٠ فاخذ يتنقل معها من الشام الى حلب ومن حلب الى بيروت ومن بيروت الى طرابلس الشام وهلمَّ جرًّا

ابتداء غلاء الحنطة وسائر الحبوب والحاجيات

الضيق بسبب شدة الامطار واقفال كل ابواب الارتزاق في وجه لبنان — وضع الحكومة البيروتية يدها على الاغلال — تأليف شركة الحبوب للجبل ولبيروت — كيفية توزيع الحبوب — الافران في بيروت

وما دخل علينا شهر شباط من تلك السنة حتى اخذنا نشعر بشدة الوطأة وثقلها و بعد ان كنا نعلل النفس بقرب انتهاء تلك الحرب الطاحنة دبّ اليأس في كل القلوب وبتنا نتوقع هجوم البلايا بانواعها على جبلنا التاعس

ابتدأت اسعار الحنطة بالارتفاع وكان قبل ذلك قد تصاعدت اثمان باقي الحبوب (العدس والحمص والفاصوليا والشعير والذرّة) وكل حاجيات المعيشة (الكاز والارز والسكر الخ) . ولزيادة شقاء هذا الجبل كان شتاء تلك السنة قاسياً وكانت امطاره غزيرة وثلوجه متوالية الامر الذي اقام امام اللبناني السدود والحواجز البرية فتصعبت من جراء ذلك طرق المواصلات بيننا وبين الولايات المجاورة لنا . وقد كانت دول الحلفاء اوصدت بوجهنا ابواب البحار فابتداء الضيق والفقر يخيمان على ربوعنا المسكينة

اما ارباب الحكومة البيروتية الذين كانوا يدأبون طبقاً لرغائب جمال لايجاد الطرق المضرة بصوالح الجبل فانهم اخذوا الحيطة لمنع الاغلال من دخول لبنان . واذا تسنى لاحدنا جلب شيء من الحبوب بنوع من الانواع

كانت المفرزة العسكرية المشتتة في سائر جهات لبنـان تضع يدها عليه مدعية انها بشديد الحاجة الى الحبوب لاجل اطعام الجيش الذي يحارب دفاعاً عن الوطن والدولة ·· واحسرتاه ! · كيف يعيش جبل صخري سدّت في وجهه كل ابواب الارتزاق ؟ الدولة التي تحكمه اقفلت امامه ابواب البر والدول التي تحاربها اوصدت ابواب البحر · لا ملجأ له ولا معين ·· علا صراخنا وعويلنا حتى طبق الفضاء ولجأنا الى بعض الروساء فتداخلوا في الامر · وبعد اللتيا والتي صدرت اوامر الحكومة بتأليف شركة (بيروتية—لبنانية) عهد اليها جلب الحبوب وبيعها باسعار متهاودة الى ذوي الفاقة من اهالي بيروت ولبنان وجعل مستودع تلك الشركة في قرية حدث بيروت من اعمال لبنان · فترا كضت الاقوام الى ذاك المستودع من بيروت ومن سائر انحاء الجبل · وكان جميعهم وقد خلت منازلهم من ذرة من الحبوب يقتتلون في سبيل الحصول عَلَى الكمية القليلة من الحنطة او من الشعير او من الذرّة

وكان يجب على من يبغي الحصول عَلَى شيء من الحبوب ان يكون مصحوباً بمصادقة من شيخ صلح قريته او من احد مختاريها · وتوفيراً لراحة الاهلين الذين كانت شدة المتاعب اثقلت كواهلهم اعتمد شيوخ القرى ومختاروها عَلَى طريقة هي في معتقدهم ملائمة للصالح العام وهي انهم اختاروا مندوباً او اكثر كلّف نيابة عن الاهالي باستجلاب الحبوب اليهم من مستودع الحدث · وكثيراً ما كان يصادف اولئك المندوبون انواع العذاب في سبيل الوصول الى بغيتهم ·

ومن حُرم منهم من معرفة احد المقربين الى مديري الشركة كانت تضطره الظروف الى قضاء ايام بلياليها في ارض الحدث تحت وابل الامطار وعرضةً لسموم الرياح . وقيل لنا انه كان من المستحيل مواجهة مدير تلك الشركة الجالس عَلَى عرش المجد. سيان عند جلالته قضى الناس حاجاتهم ام لا

ثم ما طال الامر حتى قرّرت الحكومة تسهيلاً للمندوبين ان تجعل مستودع خاص لتلك الحبوب في كل مركز من مراكز قائمقاميات الجبل . فكلفوا بتوزيع الحبوب اناساً فطروا و يا للاسف عَلَى الطمع واللصوصية . ولا تسل عن كميات التراب التي كانت تضاف الى تلك الحبوب الواردة علينا عن طريق اولئك الموزعين الامناء : الف راية بيضاء عَلَى ارباب مستودع الحدث ! كانوا عَلَى الاقل يبيعوننا حبوبهم خالية من التراب ! . . .

وقد أفادنا الواقفون عَلَى حقيقة الامر ان مأمور التوزيع في قضاء المتن (جورج مزهر من بصاليم) ابتطن من وراء وظيفته واستحل ازدراد مبلغ من المال لا تقل قيمته عن خمسة آلاف ليرة

هل بقي المبلغ بتمامه في جيبه ام انهُ اعطى معلمه (المير فايز شهاب قائمقام المتن في ذاك العهد) قسماً منه ؟ . . . .

ولم تكن تلك الشركة لتسدّ عوز الشعب الجائع لا سيما وان الحكومة لم تكن تسمح الاّ باخراج القليل من مقادير الحبوب من الولايات الداخلية

فضلاً عن ان بعض الاغنياء كانوا بكل دناءة يزاحمون الفقراء عَلَى كسرةٍ من خبز تلك الحبوب

وشعرت الحكومة البيرونية ان خواطر الشعب قد هاجت من جراء قلة الحبوب في المدينة فارتأَت ان تشغل الافران عَلَى حساب البلدية وتوزع الخبز عَلَى بيوت المعوزين فعينت في كلٍ من احياء المدينة اشخاصاً يوزعون جرايات العيش عَلَي الاهالي فكان يصيب كل فردٍ منهم اوقية خبز في النهار · ولقد كان الشعب يرضى بطيب الخاطر لو صار التوزيع منظماً · غير ان الموزعين الانذال كانوا يأكلون نصف المخصص للشعب فضلاً عن ان البلدية كانت توزع الخبز يوماً وتقطعه يومين ·· وسنعود الى الكلام عن الافران والجرايات في فصلٍ آخر من فصول هذا التاريخ

اضطراب الخواطر

من جراء ارتفاع الاسعار المتواصل ومن جراء قلة المؤونة

اوامر جمال باشا بابعاد الاغلال والتنقليات من الساحل الى الداخلية (في ١١ اذار) سنة ١٩١٥ — فض مجلس ادارة لبنان في(١٣ اذار) — التكاليف الحربية في بيروت

وكانت الخواطر في لبنان و بيروت تزداد اضطراباً من جراء ارتفاع الاسعار المتواصل في كل حاجيات المعيشة ولا سيما من جراء قلة ورود الحبوب

من الداخلية. ولم يكن للاهالي من حيلة في محاربة ذلك الغلاء وفي دفعهم عنهم شديد ويلاته فان اكثر المنازل كانت قد فرغت من المؤونة فضلاً عن ان المخزون من الحبوب عند تجار هذا الصنف لم يكن بالشيء الذي يعتدّ به ولم يكن التجار قد احتاطوا لتلك المسئلة التي حدثت مباغتةً

وفي الحادي عشر من اذار سنة ١٩١٥ اصدر جمال باشا امراً مشدداً بوجوب ابعاد المؤن والاغلال والحاصلات والعربات والحيوانات وسائر مسببات النقل الموجودة في القرى الساحلية الى الداخلية البعيدة وأكد جمال باشا عَلَى مأموري الحكومة ان يلبوا الامر بالعجلة الممكنة واشار اليهم ان يحرقوا ما يتبقى من الحبوب في المخازن فيما لو تسنى للاعداء ان ينزلوا عَلَى الشواطئ لاجل احتلالها . فشمل الخوف سائر القرى الساحلية فابتدأ سكانها بالهرب بمواشيهم واغلالهم . واننا نذكر ان عدداً كبيراً من اللبنانيين ارباب المواشي ذبحوا معظمها فهبطت اذ ذاك اسعار اللحوم الى ابخس الاثمان

وفي اليوم الثالث عشر من اذار اصدر اوهانس باشا امراً مبنياً عَلَى امر محمد رضا باشا قومندان بيروت ولبنان بفض مجلس ادارة الجبل وبوجوب انتخاب اعضاء جدد ينوبون عن الشعب ويخلصون الخدمة (عَلَى قول محمد رضا) للدولة التركية . فانفرط عقد ذلك المجلس وكان اصبح اكثر اعضائه في المنفى .

وفي تلك الآونة اخذت الحكومة العسكرية من مخازن التجار البيروتيين

كل ما رأته لازماً لها من حديد واخشاب وكلس افرنجي وترابة افرنجية واقمشة متنوعة واعطت لقاء ذلك الى اصحاب تلك البضائع وثائق بالثمن الذي رأته ملائماً لها ودعوا ذلك السلب والنهب — التكاليف الحربية —

وصول الفرمان السلطاني

الى البطريرك الماروني والى مطارنة طائفته (١٦ اذار سنة ١٩١٥) —
يا نصيب بكر سامي بك والي بيروت

وفي اليوم الموافق ١٦ اذار من سنة ١٩١٥ وصلت الى بيروت من الاستانة العلية الفرمانات السلطانية المعطاة للبطريرك الماروني ولمطارنة طائفته. فنقل بكر سامي والي بيروت البشرى الى السيد البطريرك طالباً اليهِ ان ينزل الى بيروت لاستلام الفرمان بالاحتفال اللائق بمقامه · لكن البطريرك ابي ان يغادر مقره بداعي عجزه وانحراف صحته · فاضطر الوالي ان يرسل الفرمان الى غبطته مع باقي فرمانات المطارنة بواسطة اشخاص من كبار الموظفين ·

واتفق ان بكر سامي المشار اليهِ كان قد اخترع في تلك الآونة ابتزازاً للاموال الكثيرة وسيلةً (لا بل ضريبة) من شأنها ان تنجحه في مسعاه الخيري فانهُ امر بطبع الالوف العديدة من اوراق اليانصيب المخصص ريعهُ (على قوله) لاعانة العسكر العثماني ومساعدة عائلات الجنود التي تحارب ذوداً

عن الدولة العلية · فارسل خمسة آلاف ورقة منها الى البطريرك الماروني (في ٢٣ اذار سنة ١٩١٥) وكانت قيمتها ثلاثمائة ذهباً عثمانياً نقدها البطريرك دفعة واحدة (عَلَى سبيل البخشيش اكراماً للفرمان) : وقد صدرت الاوامر الى مأموري حكومة الجبل بتوزيع الاوراق العديدة عَلَى اللبنانيين فلم ينقص مجموع تلك الضريبة عن احد عشر الف ذهب عثماني دفعها الشعب اللبناني من عرق جبينه ووضعها في جيوب بكر سامي ومحمد رضا وجمال · ولا يحصى عد الذهب المدفوع في سبيل هذا اليانصيب من بيروت وملحقاتها والشام وحلب وتوابعها ·· كذب من قال ان الحرب مضرّة · سلوا اذا شئتم جمال ومحمد رضا و بكر سامي فيجيبوكم ان الحرب لازمة نافعة ·

زيارة جمال باشا لبيروت للمرة الاولى

— في ٣ نيسان سنة ١٩١٥ —

فتح الاسواق في بيروت (٨ نيسان سنة ١٩١٥) — الامر الجازم بمنع
تور يد الحبوب الى الجبل و بيروت (٩ نيسان سنة ١٩١٥)

وكان البيروتيون يودون من كل قلوبهم رؤية من كان يزرع الخوف في سائر الاراضي التي تدوسها رجله الشريرة · فدقت ساعة وصوله الى بيروت للمرة الاولى وكان ذلك في اليوم الثالث من نيسان سنة ١٩١٥ · وكان

يصحبه في زيارتهِ هذه والي ولاية سورية وسبعة وعشرون من الامراء والضباط والمأمورين. وقد استقبله عَلَى المحطة استقبالاً ممتازاً جداً والي بيروت واركان المأمورين والعساكر والاهالي فوصل تواً الى دائرة الحكومة حيث اقتبل وفود المهنئين . ومن هناك ذهب الى نزل هوف حيث تناول طعام الظهر . وعند المساء جرى استعراض العساكر في الحرش . وقضى القائد سهرتهُ في النزل المذكور آنفاً .. وفي صباح اليوم التالي عاد الى عاليه .

وقد ثبت ان بكر سامي اغتنم فرصة زيارة جمال باشا لبيروت فحدثه عن تأفف الشعب وتذمره من جراء سوء الحالة التي كان بدأ يشعر بشدتها ورأيا من الموافق الهاء افكار الاهالي بعمل من الاعمال فقر قرارهما عَلَى مباشرة مشروع لقبوه بمشروع (فتح الاسواق) . وكانت غايتهما تخريب بيروت . ففي اليوم الثامن من نيسان سنة ١٩١٥ بوشر الهدم من سوق الحدادين وقد ابتدأ بتدشينه بكر سامي بحضور اركان المأمورين والرؤساء الروحيين ورجال المدينة

وما مضت الايام القلائل عَلَى مغادرة جمال باشا عاليه حتى اصبح لبنان وبيروت بلا قوت فقد كان دولته امر بعدم توريد الحبوب من الولايات الداخلية قصدَ قتل بيروت ولبنان جوعاً .

طلعت شمس اليوم التاسع من نيسان سنة ١٩١٥ وكانت منازل اكثرنا خاوية خالية من كل انواع المأكول فتراكض الاقوام من كل فج وصوب

قاصدين السهول علهم ينالون بغيتهم · وخيم الضيق فوق بيروت مدة ثلاثة ايام متوالية فعلا صراخ الشعب وقام وقعد وهجم عَلَى مخازن تجار الحبوب وكانت مقفلة · فامرت الحكومة المحلية بفتحها بالقوة واخذت منها كل ما وجدته فيها وباعته بالاسعار التي راقت لها ودفعت ثمنه كما حسن لديها · وفي تلك الاثناء ارسل كل من سليم علي سلام والمرحوم ميشال ابرهيم سرسق برقية الى جمال باشا فيها اباتا لدولتهِ سوء مصير المدينة وخطر نشوب ثورة فتنازل السفاح وامر بتوريد الكميات القليلة الى بيروت ولبنان بحيث يُسدّ رمق الاهالي موقتاً ·

ظهور الجراد واضراره

اعتداء العساكر على المزروعات والاشجار

وبينما كنا نئن ونتحب من فظ معاملة اولئك الدمويين وردتنا الاخبار المنبئة بظهور الجراد في سماء يافا وضواحيها وكان ذلك في الثاني والعشرين من شهر اذار سنة ١٩١٥ · فانقطعت القلوب خوفاً لذاك النباء المشؤوم نظراً لما كنا نتوقعه من جسيم الاضرار في الاغراس والمزروعات والبساتين ·· كان شتاء تلك السنة قاسياً مراً كما افدنا سابقاً غير ان الامطار انقطعت عنا في اواخر شباط وحلت محلها الرياح الشرقية التي بدأت تهب من النصف الاول من اذار فسهلت الطريق لعبور الجراد الينا ·

وما مضت الايام القلائل عَلَى ظهور الجراد في يافا حتى رأيناه قادماً الينا ينذرنا بالويل والخراب ·· انبثق فجر اليوم التاسع من نيسان ولم نرَ لذلك النهار شمساً فان جحافل الجراد الجرارة حجبتها عن الابصار فصيرت النور ظلاماً · وكانت جيوش تلك الآفة الفتاكة تملأ سماء سورية وفلسطين من الشطوط البحرية حتى اقصى الداخلية فاهتم للامر الشعب والحكومة · بيدَ انه كان من باب العبث والجنون محاربة واتلاف تلك العساكر التي لم تقع عَلَى مثلها كثرةً عيون شيوخنا ولا عيون اجدادهم ·

ظل الجراد نحواً من اسبوع حاجباً عنا انوار الشمس يسرح ويمرح في كل الاراضي غير مبقٍ عَلَى شيءٍ من النبات والزرع والشجر ومن كل اخضر في الحقول والسهول والاحراش والبراري · وكان يواصل هجماته عَلَى المنازل فيملأُها ويزعج سكانها ويعجزهم عن التملص منه ·

ومما نذكر عنه انه ملأ بركة ضبية المختصة بشركة مياه بيروت فاضطرت الشركة المشار اليها ان تنظف تلك البرك من آثاره فانقطع الماء يومين عن المدينة وبات البيروتيون من جراء ذلك بلا ماء وكانوا من ثلاثة ايام بلا خبز

ولما تكدّس الجراد في سهول البقاع قيل انه غطى الارض عَلَى علو ذراع ولقد بذل الاهالي كل ما في وسعهم لابعاده عن اماكنهم وحقولهم · وقد فرضت الحكومة عَلَى كل فرد من الشعب ان يقتل منهُ عشرين اقة ويقدمها الى بلدية قريتهِ واوجبت عَلَى من عجز عن العمل ان يدفع للبلدية ثمن عشرين

اقة (عن كل اقة متليكين) . ورغم كل قوة بذلتها الحكومة بمساعدة الاهالي لم يتلفوا من ذاك الجراد المتكاثف كالضباب الا قسماً لا يكاد يذكر فغرّز ما سلم منه في سائر الاودية والاماكن الواطية وبتنا ننتظر تفقيسه علنا ندفع عنا شر فتكاته وهو يزحف .

وفي اليوم الموافق ١٥ ايار شاهد بعضهم شراذم من ذاك الجراد تزحف في الجهات الساحلية فذاع الخبر في البلاد بالسرعة الكلية فبادر القوم من كل النواحي لمحاربته واتلافه وقد ساعدتهم الحكومة عَلَى ذلك . لكن عجزت القوى امام ذاك التيار الهائل الذي محا عن ارض بلادنا كل اخضر ويابس فتعرّت آنئذٍ المروج من مزروعاتها والحقول من خضرتها والبساتين من رونقها والاشجار من ورقها والكروم من عنبها والفاكهة من اثمارها . . ومن تلك الايام اخذت اثمان الحاجيات تتصاعد تصاعداً فاحشاً دام الى نهاية تلك الحرب المشؤومة .

وظل الجراد يفتك في البلاد الى مساء اليوم التاسع عشر من شهر تموز وقد افادنا القادمون من زحله والبقاع انهُ بينما كان اهالي تلك الجهات مهتمين بابعاد تلك الآفة المتلفة عن كرومهم في اليوم التاسع عشر من الشهر المذكور اصبحوا في ٢٠ منه ولم يقفوا له عَلَى اثر .

ولسوء حظ جبلنا المسكين لم يكن اعتداء العساكر التركية المتفرقة في سائر جهاته اخف وطأة من مضارّ ذلك الجراد الفتاك . فما سلم من اشجاره وما نجا من حقوله وبساتينه من اذى الجراد وقع في ايدي اولئك الجنود السفلة

الذين اضاعوا كل وجدان وفقدوا كل شرف . سرّحوا مواشيهم في الحقول وفي المروج ولم يكن من يتجاسر عَلَى ردعهم عن عملهم فالتهمت المواشي كل ما مرّ امامها من المزروعات . اما هم فاخذوا يطوفون في الكروم والبساتين والاحراش بيدهم المناجل والفؤوس يقطعون الاشجار الحرشية واغراس العنب والتين والزيتون وكل شيء مثمر فلم يسلم من شرهم الا شجر الاحراش البعيدة المجال والاماكن الوعرة المسلك . فكانت مضار الجراد وفتكات العساكر من اهم مسببات الغلاء والشقاء والفقر والجوع والموت في بلادنا المسكينة .

تشكيل المجلس الجديد في لبنان

ضرب الدوارع الافرنسية لمستودعات الكاز في شكا جونية

عزمي بك والي بيروت

زيارة جمال باشا الثانية لبيروت (في ١٦ تموز سنة ١٩١٥)

فض محمد رضا مجلس ادارة الجبل كما مر بنا ثم اخذ يسعى بتشكيله عَلَى هواه من الاشخاص المتزلفين اليه ولم يكن عددهم قليلاً ففاز منهم من بسط كفهُ واظهر سخاءً حاتمياً . وكان محمد رضا هذا لا يهتم الا بان يبتطن من جيوب اللبنانيين والبيروتيين صلح الموظفون او فسدوا . فوزع في كل اقضية لبنان عماله الذين بثوا روحه معلنين للشعب انه يجب عليه انتخاب فلان وفلان

وفلان نواباً في مجلس الادارة · والويل لمن يتجاسر ويخالف · وهكذا بقوة الاستبداد والاثرة تمّ انتخاب المجلس الجديد · ابتدأوا في النصف الاول من شهر نيسان وانتهوا في النصف الاول من شهر ايار · وافتتح المجلس الموما اليه جلساته في السابع والعشرين من ايار وكان ذاك اليوم موافقاً لعيد جلوس السلطان محمد رشاد الخامس · ولم يكن مؤلفاً اذ ذاك الا من ثمانية اشخاص فان الشعب لم يكن انجز بعد انتخاب الاعضاء الباقين ·

وفي السادس والعشرين من شهر ايار سمعنا دوي المدافع في الجهة الشمالية من لبنان فتوسمنا بالامر خيراً وحسبنا ان الدارعة الافرنسية انزلت جيشاً احتلالياً الى الشاطىء وبتنا ننتظر بذاهب الصبر ورود الاخبار الحقيقية · وما لبثنا ان عرفنا ان دارعة افرنسية ضربت مستودع الكاز في شكا وفي ٢٨ ايار جاءت دارعة الى جونية فضربت ايضاً مستودعها وكان فيه كثير من صناديق الكاز · ولاول وهلةٍ خاف الاهالي جداً في نواحي شكا وجونيه · ومن شدة الخوف روي لنا انه مات في جونيه احد الطاعنين في السن ·

وفي الثامن والعشرين من حزيران ورد الى بيروت من نظارة الداخلية نبأ برقي مفاده نقل والي بيروت بكر سامي الى ولاية حلب وتعيين عزمي بك والي قونية مكانهُ · كان بكراً لم يكن دموياً الى درجة بها يتمكن من قتل الشعب البيروتي والشعب اللبناني فاقاموا مكانه من هو امهر واحذق في استنباط الوسائل المضرّة واستخدام الطرائق القتالة ·

وصل عزمي المنافق الدموي الى بيروت عَلَى قطار خاص الساعة الواحدة بعد الزوال من اليوم الثامن من تموز · وصل (ولا كانت ساعتهُ) وامارات القسوة والجفاء والشر تبدو على وجههِ الكريه ·

ورأى جمال الطاغية انهُ من المناسب ان يجتمع بعزمي في بيروت لتبادل الآراء في امر التجويع والتخريب في البلاد فركب سيارته في اليوم السادس عشر من تموز وسار من الشام فوصل بيروت نحو الساعة الحادية عشرة افرنجية صباحاً · وكان معهُ كثير من الامراء والضباط ·· تناول طعام الظهر مع عزمي بك ودبرا من المكائد ما دبرا وعند المساء غادر جمال بيروت ·

زيارة البطريرك الماروني لجمال باشا في عين صوفر

(في ٢٧ تموز سنة ١٩١٥)

الاوامر بمعاينة البغال والخيل وأخذ ما يصلح لخدمة الجيش

اما جمال فكانت تلذّ له الاقامة في الربوع اللبنانية ولا سيما في ايام الصيف فكان يطوف في الجبل متنقلاً من منتزه الى منتزه ومن نزلٍ الى نزل · وبقدر ما كان يحب هواء لبنان ومياههُ بقدر ذلك كان يكره شعبه وكان يبغي لو اتيح له ذلك ان يخنق كل روحٍ لبنانية ·

فرأى بطريرك الموارنة اتقاء لشر ذاك السفاح ومحافظة عَلَى دم ابناء لبنان

ان يتملقه و يعظمهُ و يبخره فأمّ عين صوفر (حيث كان جمال) في اليوم السابع والعشرين من شهر تموز سنة ١٩١٥ فاستقبل جمال البطريرك استقبالاً حسناً للغاية واظهر له كل محبة ومجاملة · وقصّ البطريرك عَلَى جمال سوء مصير الشعب والبلاد من جرّاء مضار الجراد وترجاه ان يرأف بحالته فوعده جمال خيراً · · وبفضل ديوان عاليه كان قد كثر عدد اللبنانيين الذين أُبعدوا الى الداخلية فاستغاث البطريرك لهم فنال بعضهم عفواً · ومما قاله جمال للبطريرك اثناء الوداع : « كن واثقاً ايها الشيخ الجليل انني مستعد ان اكون عكازةً لشيخوختك » غير ان جمال لم يشفق عَلَى حالة ذاك الشعب الضعيف فاصدر امراً مشدداً بوجوب تصدير القليل من الحبوب الى بيروت ولبنان و بلزوم معاينة كل البغال والخيل الموجودة في بيروت والجبل وأُخذ كل ما يناسب اخذه وكل ما يصلح لخدمة الجيش الهمايوني. مع دفع القيمة الى اصحاب تلك الحيوانات بموجب تخمين عسكري · ولا تسل عما جرى اذ ذاك من التظلّم في الرعية · اخذوا البغال القوية والخيل الجيدة والسيارات البيتية والعربات والعجلات الصالحة للنقل ودفعوا اثمانها كما طاب لانفسهم وحلا · وكانت النتيجة من ضبط الحيوانات ووضع اليد عَلَى العربات والعجلات ان وسائل النقل في بيروت ولبنان فقدت تماماً فتصعبت من جراء ذلك موارد الارتزاق والمعيشة



علي منيف متصرف لبنان

(في ٢٠ آب سنة ١٩١٥)

الطاعون في انطلياس—افتتاح المدارس الرسمية في الجبل في ٢٢ تشرين الاول سنة ١٩١٥

واشتدّ الخلاف بين المتصرف اوهانس باشا الذي كان يدافع بكل قواه عن حقوق الجبل وبين محمد رضا الذي لم يكن يدأب الاَّ في سبيل الضغط على الشعب اللبناني · فلم ترُق اعمال اوهانس في اعين ارباب الامر والنهي فاضطر ان ينسحب من وظيفته · فداس اذ ذاك بابهم العالي كل حق وخرق كل نظام وعين على لبنان متصرفاً تركياً من الطائفة الاسلامية · ووردت البرقية الى مركز الحكومة اللبنانية بتسمية علي منيف حاكماً عَلَى الجبل في اليوم العشرين من شهر آب · فغادر حاكمنا الجديد الاستانة قاصداً القدس الشريف وهناك اجتمع بجمال باشا الذي لقنهُ التلقينات اللازمة وموّنه بالتعليمات الضرورية لذاك الجبل التاعس · ثم عاد الى لبنان وكان قد ذهب لملاقاته في محطة المعلقة محمد رضا باشا قومندان بيروت ولبنان ومعهُ اركان حربه والسواد الاعظم من هيئة الحكومة اللبنانية · فبلغ المتصرف المعلقة في اليوم العشرين من ايلول واتى الى زحلة حيث مكث يومين ومنها قصد عاليه ترافقه هيئة الحكومة اللبنانية ومن عاليه أمّ بعبدا · واحتُفل بتلاوة الفرمان الشاهاني في اليوم الاخير من شهر ايلول

وقد اظهر الحاكم الجديد في بادئ الامر انه رجل محب للجبل وقال انه مستعد للسهر على كل ما يؤول لراحة الشعب وانه سيبذل كل نفيس وغالٍ في سبيل تمهيد ابواب الارتزاق بوجه اللبنانيين وفي استنباط الوسائل التي تمكنه من تفريج الغمة عن صدورهم وما شاكل ذلك من عبارات المجاملة التي لم يقف لها عَلَى اثر الاَّ اولئك المستفيدون منه اولئك الذين أكلوا بواسطته خبز الفقير واليتيم والارملة وابن السبيل كما سنوضح ذلك مفصلاً ومطولاً

وبعد وصول ذاك المتصرف الى لبنان ببضعة ايام ظهر الطاعون في انطلياس بولد من اولاد العملة الذين كانوا يشتغلون في معمل الطحين المشهور « بطاحونة السلطنة » فاهتم دولته بالمسألة اهتماماً جدّيًا فلم يتجاوز المرض تلك الطاحونة

وفي الثاني والعشرين من شهر تشرين الاول اراد علي منيف ان يظهر للشعب انه يحب رقيه ونجاحه فعكف عَلَى الاهتمام بالمعارف وباشر تأسيس المدارس وعممها في جميع نواحي الجبل وعين الرواتب الحسنة للمعلمين والمعلمات



اخراج اليسوعيين من ديرهم في بكفيا

(في ١٧ تشرين الثاني سنة ١٩١٥)

الاستيلاء على مستشفيات الشوايا — الغاء القلم الاجنبي في لبنان
(في ١٩ تشرين الثاني) — توحيد العملة (في ١٤ كانون الاول)

قال جمال باشا في بلاغه الذي ذكرناه في محله : « ان الحكومة المحلية ستحتل جميع المؤسسات والمكاتب التابعة للدول المخاصمة لـنا الكائنة بجبل لبنان » فاعتماداً عَلَى قول القائد الكبير اتى الجنود الاتراك المقيمون في بكفيا وأمروا اليسوعيين الساكنين في ديرهم هناك (وكلهم من السوريين) بالخروج منه بدون تأخير قائلين لهم ان العساكر الشاهانية بحاجة ماسة الى احتلاله فلبى اليسوعيون الاوامر المطاعة بالحال والسرعة ولم يأخذوا من ديرهم الاّ بعض لوازمهم الضرورية · فوضع الاتراك يدهم عَلَى ذاك المقام وكان فيه القناطير المقنطرة من الخمور الجيدة والمشروبات الكحولية المشهورة · فسلبوا منها ما سلبوا واصدر علي منيف امراً بوجوب بيع ما تبقى هنالك بالمزاد العلني وهكذا صار · غير اننا لا نعلم اذا كانت اثمان تلك الخمور وُضعت في صندوق الجبل امانــة لليسوعيين او تسرّبت الى ذاك الجيب الواسع جيب علي منيف · اليسوعيون أدرى بذلك · جل ما اتصل بنا ان الاتراك لم يكتفوا بسلب الدير ونهبه بل انهم حوّلوا المعبد المخصوص لخدمة الخالق الى اصطبل لخيولهم

وبعد ان وضع الجنود يدهم عَلَى دير اليسوعيين في بكفيا ذهبوا الى الشوايا (قرب بجنس) فاستولوا عَلَى تلك البنايات الفخيمة التي شيدتها ملائكة الرحمة اعني راهبات المحبة لحماية ذوي الفاقة ولمعالجة المرضى من ذوي المسكنة والشقاء

ورأى علي منيف انه بسبب قطع العلائق بين الدولة التركية والدول الاوربية التي تحاربها لم يعد من سبيل لابقاء القلم الاجنبي في حكومة الجبل فأمر بالغائه فأُلغي في اليوم التاسع عشر من شهر تشرين الثاني

وفي اليوم الرابع عشر من شهر كانون الاول سنة ١٩١٥ تقررت مسئلة توحيد العملة في بلادنا فجُعلت الليرة العثمانية ١٠٨ غروش والمجيدي ٢٠ غرشاً

التمرينات العسكرية

حفر الخنادق واقامة الاستحكامات — ابتداء القروض المالية
بيع الاثواب والاثاث — المهاجرة

انتهت سنة ١٩١٥ ونفير الجنود يرن صداه في آذاننا بكرةً وعشيةً فقد كان الضباط يجمعون فرقهم العسكرية ليمرّنوها عَلَى التعليم الحربي . وما كان اشبه تعاليمهم هذه بالعابنا الصبيانية التي كنا نجريها في ساحات وغابات القرى اللبنانية في ايام العطلة المدرسية

ومن التعليم الحربي كان الضباط يصرفون فرقهم الى الحفر في مرتفعات الاراضي وكانوا يقولون لنا : « انظروا ما اجمل هذه الخنادق وما اتقن هذه الاستحكامات ! » قضوا المدات الطويلة في الحفر ثم طافوا في البلاد ينتزعون الشريط الشائك من كل الامكنة التي وُجد فيها

وما دخلت سنة ١٩١٦ حتى اخذنا نشعر بشدة الوطأة من جرّاء فتكات الجراد واعتداء الجنود وارتفـاع الاسعار بحاجيات المعيشة والسدود البرية والبحرية . ومن كان منا مدّخراً بعض الدريهمات في صندوقه توفيراً للايام السوداء كان انفقها او كاد فاخذنا نضرب اخماساً باسداس مفكرين في ايجاد الوسائل التي بها نتمكن من دفع غوائل الجوع عنا وعن ذوينا .. هجمت علينا النكبات فحرُمنا لذة الرقاد مع لذة العيش . لجأنا الى اصحاب الاموال في بيروت ولبنان طالبين اليهم ان يقرضونا شيئاً مما عندهم فلم يرفضوا غير ان فوائدهم كانت فاحشة فضاحة : ابتدأوا باقراضنا الاموال بمعدل ٢٥ و٣٠ و٥٠ بالمائة واخترع بعضهم طريقة تجارية لم يسبقهم اللصوص عليها وقد سموها (القرض مع القطع) اي انهم كانوا يقرضوننا المائة غرش بعد ان يقطعوا من اصلها ٢٥ و٣٠ و٥٠ فتصبح بذلك مائتهم ٧٥ و٧٠ و٥٠ وقالوا لنا بكل قحة . اننا لكم من الراحمين . وهذه الطريقة المشؤومة لم يستعملها الا متمولو بيروت ولم يعاملنا بمثلها متمولو لبنان . ومع هذا كنا نضطر الى الاستدانة نظراً لشديد حاجتنا الى دراهم .. وقد افردنا لارباب الاموال والمرابين فصلين مطولين شرحنا فيهما طريقة

قروضهم وكيفية معاملاتهم · ومن الآن نلفت الانظار اليهما ·

واول ما بدأنا به بعد استدانة الاموال بيع اثاث البيوت والفرش واللحف والاقمشة التي كانت في خزائننا وصناديقنا وتبع ذلك بيع اثوابنا فلم نبق على شيء ولم نذر · ورأينا ان ذلك لا يدفع عنا الجوع لان المواد باسرها كانت قد ارتفعت ارتفاعاً فاحشاً كما أبنا وكانت قد فرغت جيوبنا من كل ما يسمونه « عملة » فضلاً عن ان الاتراك كانوا قطعوا عنا كل موارد الارتزاق ومنعوا توريد كل حبة من انواع الحبوب من الولايات الداخلية · وكانت عساكرهم تضبط وتسلب كل ما تصل اليه ايديهم فاتكلنا على الله وحده ونفخنا في بوق المهاجرة الى سهول البقاع والى الولايات القريبة منا : تركنا منازلنا وقد فرغت من كل اشياءها واملاكنا وقد اتلفت الجنود ما سلم منها من شر الجراد وتشتتنا مع عيالنا في السهول والقرى والمدن الداخلية وسنذكر مطولاً هول ما لاقينا هنالك عندما نتكلم عن المجاعة والشقاء ·

زيارة انور باشا وجمال باشا لبيروت

(في ٢٠ شباط سنة ١٩١٦)

دار التربية في بيروت (١١ اذار سنة ١٩١٦)

وكان الشعب في حالة من البؤس شديدة تصده قوة الامطار عن التجول لكسب ما يسد به رمقه فاخذ يطحن ما تصل اليه يده من الشعير والعدس

والحمص والترمس المرّ ومنهم من كان ابتدأ يسابق الحيوان بأكل مختلف الحشائش . كان الشعب في هذه الحالة وكان ارباب الترك يتنقلون من مكان الى مكان قصدَ ترويح النفس (وعلى قولهم) بغية تفقد شؤون العسكروالرعية . فذاع الخبر ان انور باشا ناظر الحربية وصل الى الشام وانه سيصل قريباً الى بيروت فأمر عزمي بك ان يزينوا المدينة والاسواق وينصبوا اقواس النصر في الاماكن التي يمر بها مقوّض اركان الدولة العثمانية . وفي اليوم العشرين من شهر شباط وصلت الى بيروت السيارات العديدة وكانت احداها تقل انور باشا وجمال باشا وكان قد جاء برفقتهما كثير من الامراء والضباط نخص منهم بالذكر : برونزار باشا رئيس اركان حرب نظارة الحربية والدكتور سليمان نعمان باشا رئيس الصحية العام في الجيش والجنرال بومبايه قووسكي ملحق النمسا العسكري وفون لوسوف ملحق المانيا العسكري وفخر الدين باشا وكيل قومنداز الجيش الرابع ورضا باشا قائد الفرقة ٤٣ وقائد جبل لبنان .

واثناء وجود انور في بيروت كان رجال بوليس تلك المدينة يطردون باللطم والضرب المؤلم من الساحات والاسواق كل الفقراء والمتسولين العراة الحفاة حتى لا تقع عليهم ابصار القائد .

وبينما كان انور وجمال عائدين من بيروت الى الشام مرّا بسيارتهما بين برّ الياس وسعد نايل في البقاع فالتأمت الجماهير تصرخ باعلى الصوت : « الجوع ! الجوع ! اطعمونا ! اطعمونا ! » واتفق اذ ذاك ان امرأة من الطائفة

الاسلامية رمت القائدين برغيف اسود من الخبز الذي كانت الناس تأكله قاصدةً بذلك ان تبين لهما الحالة التي وصل اليها الشعب فاصاب الرغيف أنف انور . فاغتاظ جمال وارغى وازبد . وعندما بلغت السيارة محطة المعلقة حيث كان الناس مزدحمين لاستقبال القائدين طلب جمال قائمقام زحله (يوسف بك البريدي) واهانه اهانة فظيعة من جراء عمــل تلك المرأة . فاعتذر القائمقام قائلاً ان المرأة من قضاء البقاع وان ليس له سلطة عليها . وبعد ذلك تقدم المطران كيرلس مغبغب الى جمال ليبين له ايضاً ان المرأة من قضاء البقاع فما كان من جمال الا ان اجاب المطران بلهجة التونيب والفظاظة.

وكان عقد كل من انور وجمال وعزمي مجلساً في بيروت قرروا فيه انشاء عمل من شأنه ان يسطر لهم ذكراً فأسسوا في اليوم الحادي عشر من شهر اذار محلاً لقبوه « بدار التربية » . فجمعوا فيه سبعمائة وثمانين نسمة من البيروتيين وقدموا لذاك الدار اثنتي عشرة مكنة خياطة لتشغيل بعض السيدات والاوانس . ومن حين الى حين كانوا يساعدون بالقليل اولئك المجموعين في الدار المشار اليها

وصول طلائع القوى الالمانية والنمسوية الى الشام

(في ١١ نيسان سنة ١٩١٦) — عملة الورق

وفي اليوم الحادي عشر من نيسان وصلت الى الشام طلائع القوى الالمانية والنمساوية وقد أعدت تلك القوى لمساعدة الجنود التركية في اعادة الهجوم على

ترعة السويس . ووصل مع تلك الطلائع اسطول هوائي مؤلف من طيارات عديدة ؛ فاضطربت الخواطر في بيروت ولبنان وصرنا نخشى حدوث المواقع في اراضينا بين الحلفاء وبين الاتراك وشركائهم .. وما طال الامر حتى ساد الخلاف في صفوف الجنود بين الترك والالمان فقد اراد الالمان ان يستأثروا بالسلطة والقوة العسكرية فما كسبهم الاتراك وقامت قيامة الفيئتين .

واتفق طلعت باشا وزير المالية في تلك الايام مع زملائه الوزراء على طبع الملايين من الورق التركي . وضمنت المانيا في بادىء الامر قسماً منه قليلاً جداً . طبعوا هذا الورق ووزعوه في ولاياتهم العثمانية واصدروا الاوامر المشدّدة بلزوم تداوله وبالغاء المعاملة بالذهب والفضة . فهاجت الافكار كثيراً من جرّاء ذلك لا سيما ولم يكن لارباب الاموال عندنا ادنى ثقة بمالية تلك الدولة البائدة . وقد بثوا العيون في كل الاماكن وكلفوا الجواسيس العديدين باكتشاف المكنون من الذهب في جيوب الاهالي . وبهذه الواسطة توصلوا الى اخذ المبالغ الطائلة من الذهب المودوع في صناديق الشعب ونقدوهم الورق التركي بدلاً من ذاك الذهب وكانوا يدققون في البحث عن جيوب المتجولين والمسافرين في السهول والجبال والولايات . ومن رأوا معه ذهباً أخذوه منه بالقوة والرغم واعطوه ورقهم بدلاً اذا شاء خاطرهم

وسعّروا ليرتهم او بالاحرى ورقتهم في فاتحة امرها بمائة وثمانية قروش صاغ . والويل لمن رفض قبول تلك الاوراق فان جزاءه الشتم والضرب

والسجن والنفي · وقيل انهم شنقوا اثنين بسبب ذلك لكننا لم تحققه · وكانوا يعثون برجال البوليس الى مخازن الصاغة فيأمرونهم بفتح صناديقهم ويأخذون منها ما يريدون · فابتدأت المضاربة بالورق التركي : تارةً يرفعونه وطوراً ينزلونه · فأدت هذه المضاربة في اول عهدها الى نفي البعض من عمالها ولكن المضاربين لم يرتدعوا عن تجارتهم هذه فاضطرت الحكومة اخيراً ان تتركهم وشأنهم · ولا يخفى على احد ان الورق التركي كان من جملة الضربات ومسببات الغلاء في البلاد فانه بعد المداولة به زمناً سقط سقوطاً عظيماً جعل ارتفاعاً فاحشاً باسعار الحاجيات كما سنوضح ذلك

استلام كافة المؤسسات الاجنبية

وبعض الاديار الوطنية — تأسيس الملاجئ في لبنان

وما بلغنا الى اليوم العاشر من ايار حتى وضعت الحكومة العسكرية يدها على سائر مؤسسات الاجانب الكائنة في لبنان فانتزعت رونقها بما خربته فيها · وبعد ان كانت جنات غناء تروق مناظرها في اعين الجميع اصبحت مستودعات للاقذار

فاي معبدٍ من معابدها لم يجعلوه مطبخاً او اصطبلاً او اية غرفة من غرفها لم يكسروا زجاجها ويحرقوا منافذها ويسودوا جدرانها ويقتلعوا بلاطها ليبيعوه بالمزاد · واية شجرة من اشجار جنائنها لم يقطعوها ليعروا تلك المؤسسات من

جمالها الداخلي والخارجي · وكان القواد والزعماء يحبذون اعمال الجنود هذه مظهرين لهم كل محظوظية · وجعلوا قسماً من تلك المؤسسات مستشفيات لمرضى وجرحى جيوشهم ومن باب الحياء والخجل جعلوا القسم الاخر ملاجئ يأوون فيها بعض الفقراء من ابناء الجبل · وفي تلك الاونة ضربوا عَلَى الشعب ضريبة جديدة وهي انهم اوجبوا عَلَى الجميع ان يقدموا شيئاً من المال كلٌّ بحسب طاقته لاجل مشترى الاقمشة اللازمة لكسوة ابناء الملاجئ · فطوفوا العساكر في القرى يجمعون ذاك المال او بالاحرى ينهبون المنازل ويسلبونها · وما دروا ان منازلنا كانت اصبحت خالية خاوية (مثل بيت الله) واغتصب الاتراك من الاديار الوطنية ماري يوحنا دير القلعة (بيت مري) ومار شعيا (برمانا) ومار مارون (بجنس) ومار يوسف (بجرصاف) وكلها من املاك الرهبانية الانطونيانية المارونية

الامراض في صفوف العساكر وسريانها الى الشعب

ومن اهم الضربات التي حلّت بلبنان ففتكت بخمس شعبه الامراض المختلفة التي تفشت في صفوف عساكر الترك المتفرقين في انحاء الجبل · واشد تلك الامراض هولاً حمّى التيفوس · وعَلَى تقرير احد اطباء الجبل ان اول اصابة ظهرت في جندي من جنود الفرقة المقيمة في زحلة في اليوم الثامن

والعشرين من اذار سنة ١٩١٦ · غير ان شرها لم يتفاقم قبل منتصف ايار من السنة نفسها · ومن ذاك التاريخ اخذت تنتقل جراثيمها الى الشعب الفقير الضعيف الذي كان اصبح في اشقى الحالات من جراء الضنك وشظف العيش · عَلَى ان وطأة تلك الحمّى لم تشتد علينا قبل تشرين الثاني كما سنبين ذلك

وكانت وطأة الجدري والهواء الاصفر ثقيلة جدًّا عَلَى هام العساكر: يموتون بالعشرات فيرمون جثثهم في الاحراش والوديان طعاماً لوحوش الغاب· ففسد الهواء في البلاد وانتشر الوباء فعمّ بيروت وكل الجبل من زحلة الى عاليه الى سائر النقط العسكرية الى كل القرى اللبنانية من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب · واحتاطت اكثر بلديات لبنان للامر فجمعت الموبوءين في الاماكن المنفردة البعيدة عن مساكن الاهالي واقامت نطاقاً صحياً حول كل منزل فيه مرض من تلك الامراض · لكن ذلك لم يمنع زيادة انتشار الاوبئة فان اللبنانيين الذين اضطروا الى المهاجرة الى البقاع والداخلية كما أبنا سابقاً كانوا يخالطون العسكر فتسري اليهم الاوبئة وتقتلهم · وكان من يرجع منهم الى لبنان ينقل الينا جراثيم تلك الامراض · فاصبح البقاع والداخلية والجبل مدافن للالوف الكثيرة من اللبنانيين المساكين



فض مجلس الادارة في لبنان

وجعله على شكل المجالس العمومية في الولايات العثمانية — تأليف شركة مغفلة للحبوب في الجبل ٨، حزيران) — سفر علي منيف الى الداخلية ورحلته في الجبل — فاتحة وثائق الحبوب — توزيع الحبوب على الشعب — المتاجرة بالحبوب

ورأى علي منيف ذاك المتصرف المستبد ان الاوفق لسيادته والانسب لسيطرته ان يتملص كيف كان الحال من مجلس الادارة اللبناني · فاعتماداً عَلَى قوته المطلقة في ذاك الحين وربما كان بعد استشارة جمال باشا او رضا باشا بالامر قال : « من الملائم لصالح الجبل ان نفض مجلسه النيابي ونجعله عَلَى شكل المجالس العمومية في ولايات الدولة · » وهكذا صار ·· وبعد المفاوضة مع البعض من معاشريه والمقربين اليه قرّر الغاء شركة الحبوب الاولى (اللبنانية —البيروتية) وأَمر بتأليف شركة جديدة مغفلة للحبوب في الجبل · فأوعز الى قائمقامي الاقضية ان ينظم كل منهم لائحة باسماء كبار الاغنياء الموجودين في قضائهِ · وبعدذلك اوجب عَلَى كلٍ من اولئك المتمولين ان يدفع سهماً او اكثر (كان السهم ٢٥٠ ليرة عثمانية) لجمع رأسمال لتلك الشركة · فبلغت الاموال المجموعة في اول عهد الشركة (٨ حزيران) مبلغ ٢٥ الف ليرة عثمانية · وقد اظهر علي منيف ان الغاية من تأليف تلك الشركة كانت لتخفيف الضائقة عن اللبنانيين وأَخذ عَلَى عهدته الشخصية استجلاب مقادير الحبوب الكافية لسد حاجات الاهالي من

الولايات الداخلية وتوزيعها عليهم بالاسعار المتهاودة· وسافر دولته الى الداخلية· وبعد اجتماعه بجمال باشا اخذ يتجول ساعياً في مشترى الحبوب للبنان · تسنى له الحصول عَلَى الكميات المطلوبة فأقفل عائداً الى الجبل · وعند بلوغه بعبدا اذاع البشرى بقرب وصول الحبوب الى الاهالي واقام مستودعات الذخيرة في القرى العديدة جاعلاً المستودع الرئيسي فى قرية الحدث ·

وادّعى علي منيف انه يود تفقد شؤون الرعية قبل توزيع الحبوب عليها فاخذ يتنقل من مكان الى مكان يروح النفس وينعش الصدر متمتعاً بما راق له من مناظر لبنان ورق من نسيمه وطاب من مائه وصفا من سمائه· واظنه لم ينسَ وان بعد عن ربوعنا ما لاقى من ضروب السخاء والحفاوة عند اولئك الاغنياء الذين كانوا يولمون له الولائم الفاخرة ويبخرونه ويتملقونه خوفاً من ظلمهِ ·

وافتتح عليٌّ اعمال تلك الشركة في مستودع صوفر بما كان يمنحهُ من وثائق الحبوب المحولة عَلَى ذاك المستودع للرؤساء الروحيين ولاصحاب المعامل الذين كانوا يصرخون طالبين املاء بطون صناعهم حتى لاتقف حركة الاشغال في معاملهم · واني ارجوك ايها القارىء العزيز ان تسأل ارباب المعامل اذا كانوا اطعموا صناعهم تلك الحبوب ام ادخروها لهم لزمن الضائقة الشديدة ·

ونقّب علي في اقطار لبنان الاربعة فلم يجد هناك (وهنا في زعمه الفاسد) من هو اهل لان يدير امور تلك الشركة فعين مديراً لها رجلاً من بيروت (نجيب الاصفر) لا يفوق أئمة اللبنانيين بنشاطه وحزمه ودرايتهِ ونزاهتهِ فلم

يجسر احد من مساهمي تلك الشركة ان يحتج عَلَى ذاك التعيين المنافي العدل. فقد كان النفي اهون ما ينال جزاءً عَلَى احتجاجه .

وعينوا لبيع الحبوب المأمورين العديدين وارسلوهم الى المستودعات موءكدين عليهم اجراء الاعمال بالدقة والضبط .

ووردت الحنطة الى تلك المستودعات وكان اكثرنا بلا مؤونة وبلا زاد منذ الاسابيع العديدة فتوسمنا بورودها خيراً وقلنا الشكر لله عَلَى نعمه .

باشروا توزيع الحنطة عَلَى القرى فباعوا الفقير الجائع ست اقات والغني الشبعان ستة قناطير . وزعوا علينا الحنطة ثلاث دفعات فقط اصاب كل فردٍ من افراد الشعب المعدم ١٨ اقة وتكدست القناطير في اهراء الاغنياء الاقوياء النافذين عند مدير تلك الشركة او عند احد كبار موظفيها .

قال لنا مأمورو توزيع الحبوب : « نفدت الحبوب من المستودعات واننا الآن بانتظار ورود غيرها فنبيعكم ونشبعكم . » اظهر اولئك انهم يرغبون في اطعامنا (والله اعلم بالسرائر) . غير ان جمالاً وعلي منيف كانا يفتشان عَلَى قتلنا جوعاً بقطعهما عنا كل حبة من انواع الحبوب وبسدهما امامنا كل باب من ابواب الارتزاق .

انقطع عنا وارد الحبوب بداعي الحاجة العسكرية اليها واصبحنا نئن وليس في منازلنا اكثر من تسعة ارطال من القمح . علا صراخنا حتى بلغ عنان السماء . لكن واحسرتاه ! لا من يستجيب ولا من يغيث . اهراء الاغنياء ملأى من

سائر الحبوب واكواخ الفقراء حاكت فيها العناكب بيوتها لا من يدافع عنهم ولا من يطلب لهم حبةً من الحنطة او من الشعير او من الذرة ولا من يقدّم لهم قوتاً ولا من يحسن اليهم ببارة واحدة · قسى الله قلوب الموسرين فتعروا من شواعر الحنان والشفقة عَلَى بني جنسهم ·

تألفت شركة الحبوب او شركة الاعاشة كما سماها بعضهم وتأسست معها شركة اماتة الجبل جوعاً وتشكلت هذه شركة الاماتة من : بغض جمال باشا وعلي منيف لشعب لبنان ومن ظلم ارباب وموظفي شركة الاعاشة الذين أكلوا ثلاثة ارباع الحبوب ومن خساسة الاغنياء الذين زاحموا الفقراء عَلَى مقادير الحبوب اليسيرة التي فضلت عن بطون مأموري شركة الاعاشة ·

ومن الغريب اننا لم نسمع قط لفظة ثناء من افراد الشعب عَلَى احد من موظفي شركة الاعاشة كباراً كانوا ام صغاراً · واذا اتفق ان احد الناس قال فيهم كلمة مديح يكون هذا المادح اما نسيباً لهم واما شريكاً في المنفعة وفي أكل الحبوب ·

وليسمح لنا البعض من مأموري تلك الشركة ان نسألهم اذا كان لم يزل في جيوبهم شيء كثير من اثمان تلك الحبوب التي كانوا يبيعونها بعد اضافتهم اليها خمسين بالمائة من الحصى والتراب

واطلع عليٌّ عَلَى حسابات شركة الاعاشة فوجد ارباحها فاحشة جداً فرأى من المناسب ارجاع الاسهم الماليــة الى اصحابها وحصر منفعة الشركة

بشخصهِ الكريم وبالقليلين من المقرَّبين اليه · وبناءً عَلَى الامر المتصرفي استدعى رئيس الشركة كل ارباب الاسهم المشار اليها وارجع اليهم اموالهم وقد اضاف عليها خمسة بالمائة عَلَى سبيل الفائدة [1]

وظلَّ علي يواصل السعي في استجلاب الحبوب من الداخلية عَلَى قدر ما كانت تسمح له الظروف العسكرية · وعزل مدير الشركة جمهوراً من الموظفين الاولين الذين لم يجاروه ني كل ما يريد واقام مكانهم موظفين يأتمرون باوامره عَلَى العمياء · ومن باب التوفير والاقتصاد انقص عددهم عن الاول

قرَّروا ما قرَّروا وعدَّلوا طريقة بيع الحبوب وتوزيعها فخصصوا الوارد منها وكان قليلاً لمأموري شركتهم وبعض الفقراء اللبنانيين (هكذا قالوا · لكن واحسرتاه ! اقوال بلا افعال) · ومن ذاك الحين ابتدأَت المتاجرة بالحبوب الواردة الى الجبل وتفاقمت شرور الاقوياء والقواد والزعماء وازدادت قلوبهم قساوة فلم يعودوا يحفلون بأنين الجياع او يبالون بدموع الارامل والايتام او يكترثون لعويل المقعدين وصراخ الرضع

تسابقوا جميعاً الى تمليق ذاك الحاكم السفاح وأخذوا منه الوثائق العديدة بالكميات الوافرة من سائر انواع الحبوب · وبواسطة ترجمان دولة الحاكم (كمال اليافي) ومن ضاهاه دناءَةً من الموظفين بتلك الشركة امتلأَت بيوت

---

(١) والبعض من اولئك المساهمين تبرعوا بتلك الفائدة التافهة اكراماً لخاطر مدير الشركة

الدعارة ومنازل الرجاسة من اكداس الحنطة وباقي الحبوب بينما كان الفقراء يموتون جوعاً عَلَى طرقات الجبل وفي ازقة بيروت وشوارعها

وقد أدّى الجوع الفضاح بكثير من عذارى لبنان وبيروت الى بيع عرضهنّ برطل من القمح او الشعير او الذرة . ومن جرّاء تلك الحالة التعيسة امتلأت بيوت الفحش من العواهر والمومسات

يا للداهية الدهماء ! كان القواد والعواهر يملأون بطونهم من سائر الملاذ ويتفننون بانواع الملاهي ويترنمون بالاغاني القبيحة وكان المساكين الواقعون في حبائل الفاقة يأكلون مثل البهيم حشيش الارض وورق الشجر ويموتون بعد الايام القلائل وقد احتفروا قبورهم بايديهم

وكثر عدد الآنسات والسيدات اللواتي كنا يترددنَ الى منزل علي منيف طالبات منه وثائق الحبوب فلم يرفض الاّ طلب من لم يعجبه شكلها . ويا لحظّ من راق لدولتهِ منظرها ومن فتنتهُ بجمال عينيها فقد كانت تحصل عَلَى وثيقة تكفي لشحن عشرين قاطرة من قاطرات السكة الحديدية . ولم ننسَ النعم الغزيرة التي افاضها دولته عَلَى السيدات والاوانس العديدات اللواتي اشتهر امرهنّ في كل بيروت ولبنان.

وعلمنا من احد الثقات الذين كانوا مطلعين على سجلات شركة الحبوب ان ادارة المنزل في الشام ارسلت الى لبنان خمسة ملايين كيلو من الحنطة . فلم توزع الشركة من اصل هذه الكمية الا نصف مليون (بما فيه الحصى

والتراب (ولسنا ندري كيف ضاع الباقي) هل ان علي منيف اعطى به وثائق الى الجنس اللطيف ام ان مدير الشركة والمقرّبين اليه أكلوه او باعوه ووزعوا ثمنه علَى مائدة القمار وفي منازل المو ... ؟ ... السماء والارض تطلبان الانتقام لاولئك الفقراء الذين ماتوا جوعاً من جراء تلك الشركة التي افادت العائلات القليلات من ابناء لبنان .

وقد شاهدنا بأم عيننا كيف كان اللبنانيون يزدحمون في بعبدا حول مركز ادارة شركة الحبوب . لم يكن يقل عددهم يومياً عن الفي نفس . وكان يوجد علَى الباب الكبير نفر عسكري وحشيّ الاخلاق يمنع الجميع من الدخول الى الطابق الاسفل وكان يجود بالسماح بالدخول لكل من جادت عليه يده بالمال .

وفي الطابق الاسفل كان يشتغل كتبة الادارة . وكان احد اولئك الكتبة ينظم لائحة باسماء الذين يريدون مقابلة المدير (الاصفر) ويعطيها الى نفر عسكري ليوصلها الى سعادته الى الطابق العلوي — ينتظر الجميع صدور الارادة (الاصفرية) بالمقابلة .. امر مستحيل .. يقفلون عائدين الى قراهم بلا جدوى . (١)

---

(١) كانت تلك الشركة تبادل بعض الناس حبوباً بزيت وصابون ودبس وموادّ اخرى . وبعد فض الشركة وجدت كمية وافرة من الزيت توزعت على ماموري الشركة بالعدل والانصاف : اعطوا كل رئيس من رؤساء الدوائر مائة كيلو واعطوا كل كاتب وكلاً من صغار الموظفين ثلاثة كيلو فقط !

وثائق الحبوب للداخلية وبيعها للتجار

ارباب المدارس الجديدة وثائقهم ورواياتهم وتعدياتهم على اموال الاجانب

ولم تقتصر مسألة وثائق الحبوب عَلَى مستودعات الذخيرة المنبثة في كافة انحاء الجبل لان كميات الحبوب التي كانت ترد الى لبنان اصبحت لا تفي بالمطلوب كما افدنا · فاخذ الناس يلتمسون تلك الوثائق لاجل استجلاب انواع الحبوب من الولايات الداخلية ومن سواحل صور وصيدا وطرابلس واللاذقية وكانت الحكومة العسكرية لا تسمح بنقل شيء من الحبوب من تلك الجهات الاّ بواسطة وثيقة موقعة من متصرف الجبل او والي بيروت

وكثرت تلك الوثائق بيد السيدات والاوانس اللواتي كنّ يبعنها الى كبار تجار الحبوب البيروتيين لقاء مبلغ من المال فازدادت بذلك الحبوب غلاءً وابتطن البعض من فلس اليتيم والارملة · وبياناً لما كان لبعض السيدات من السيطرة عَلَى دماغ علي منيف اننا نورد للقارئ الحادثة الاتية :

في اليوم الخامس من تشرين الاول سنة ١٩١٦ دخلت سيدة عَلَى علي منيف في مسكنه في بيروت (دار الطبيب دبران الفرنساوي) وبعد خمس دقائق خرجت وبيدها وثيقة بمائتي قنطار من الحنطة عَلَى بلاد عكار · سافرت في سيارة دولة المتصرف الخاصة · اشترت الكمية المذكورة من القمح واعدّت الجمال اللازمة للنقل الى لبنان · وصلت جمالها الى مخفر عسكري قرب البترون ·

تصدّى لها المحافظ وكان معه الاوامر المشددة بمصادرة كل انواع الحبوب الواردة لغير الحكومة العسكرية · فقالت له تلك السيدة بلهجة الآمرة : « تمرّ جمالي من هنا باحمالها رغماً عنك وعن اكبر منك · » فاغتاظ المحافظ من هذا الكلام وشتمها · فتابعت مسيرها حتى وصلت الى المتصرف· اخبرته بالقضية· خابر المتصرف عاليه فأمر المحافظ عَلَى لسان البرق ان يدع الجمال تمرُّ بلا تاخير· وبعد اسبوع كان ذاك المحافظ مفصولاً من وظيفته وهو لم يجنِ ذنباً سوى محافظته عَلَى قانونه العسكري

وقد اتصلت الينا هذه الرواية من فم تلك السيدة نفسها وهي لا تزال تتنقل في العربة في شوارع بيروت ومنتزهات لبنان مع المدموازيل ابنتها · ولسنا ندري من هو الذي يقدّم لهما تلك العربة الفخمة ·

وكثر في ذاك الحين عدد الذين فتحوا المدارس في بيروت ليهذبوا الشبان والاوانس عَلَى طريقة اليسوعيين والاخوة المريميين واخوة المدارس المسيحيــة وراهبات المحبة وراهبات العائلة المقدسة وسيدات دير الناصرة ·

فتحوا تلك المدارس وهم يجهلون التهذيب وقواعده ولا يعرفون من العلوم سوى اسمها · فتحوا تلك المدارس لا لاجل فائدة الوطنيين ورقيهم لكن لاجل منافعهم الذاتية فان الحكومة البيروتية كانت قد عينت مقداراً وافياً من الحبوب لكل فردٍ من افراد المعلمين والمعلمات الذين يتعاطون مهنة التدريس في المدارس · فكان ارباب تلك المدارس يأخذون تلك المقادير ويتاجرون بهـا بدلاً من

اعطائها الى ذويها · وفضلاً عن ذلك ان البعض منهم اخترع طريقـة فعالة لاستمالة خواطر ارباب الامر والنهي في تلك الايام المشؤومة وهي انهم من حين الى آخر كانوا يمثلون علَى مراسح المدينة الروايات المختلفة التي كانت تدرّ لهم مبالغ من المال طائلة كانوا يعطون منها اوفر قسم لاولئك الزعماء

ولقد كان يهون الامر لو ان ارباب تلك المدارس الجديثة اقتصروا علَى ما تقدم لكنهم استباحوا اموال الاجانب وبالاتفاق مع بعض الاتراك النافذين نهبوا وسلبوا الكتب والدفاتر والادوات المدرسية من مدارس اليسوعيين واخوة المدارس المسيحية والاخوة المريميين وراهبات العائلة المقدسة · نهبوا ما نهبوا وباعوه بالخش الاثمان الى تلامذة مدارسهم · وما فضل منه باعوه بعد الاحتلال الفرنساوي الى بعض اصحاب المكاتب البيروتية ·



الزنطاريا وضحاياها

الفصل الاول من فصلي المرابين وطريقة قروضهم اموالهم

وما نصفنا شهر تشرين الاول سنة ١٩١٦ حتى نفشت الزنطاريا في كافة انحاء البلاد فلم يقوَ علَى مقاومة جراثيمها القتالة الا من قويت بنيته او مكنته حالته المادية من مواصلة حسن المعيشة ففتك ذاك الداء بالطبقة الفقيرة من الشعب وقتل الاطفال والشيوخ وقسماً من الشبان والشابات · واشتدّ علينا

الضيق اشتداداً عظيماً وكان اكثرنا انفق كل فلسٍ في جيبهِ ولم يكن لنا باب للارتزاق يسد نفقاتنا ويضمن حياة بقيتنا فالجأتنا الضرورة الشديدة الى طرق ابواب المتمولين نستدين منهم الاموال اللازمة لتموين عيالنا وحفظ كيانها في فصل الشتاء المقبل · غير ان اولئك المثريين بدلاً من تعديل خطتهم الاولى في فحش الرباء واسقاط فوائدهم من ٥٠ الى ١٠ رحمةً بالفقراء والمعوزين من اخوانهم في الانسانية كانوا قد رفعوا تلك الفوائد الى درجة غير معقولة سنتها لهم شرائع الطمع الذي فطروا عليه ولم يجزها قانون من قوانين دول الارض من يومٍ فيهِ خلق الله آدم أبا البشرية · فمنهم من جعل فائدتهُ سبعين بالمائة ومنهم من عينها مائة بالمائة ومنهم من استباحها ١٥٠ بالمائة الخ ·· ولم يسلم الدائن مديونهُ فلساً واحداً قبل الحصول علَى الضمانة الكافية لاسترجاع المال متى تغيرت الاحوال فأجبر الدائن مديونه ان يبيعه بيعاً باتاً املاكه او بيته لقاء مبلغ من المال يساوي علَى الكثير عُشر تلك الاملاك او ذلك البيت ·

والاغرب من ذلك ان بعضاً من اولئك الدائنين كانوا بعد استلامهم صك البيع والشراء من المديونين يعطونهم المال مقسطاً كأنهم يعطونه الى متسول علَى سبيل الصدقة · فكانت تمرّ الاسابيع والاشهر ولا يستلم ذاك المديون المسكين قسماً يسيراً من المال الذي لاجله تعرى من املاكه ومن مسكنهِ وكثيرون هم المستكلبون الذين تعروا من الوجدان والضمير ومن رائحة الشفقة علَى بني جنسهم فلم يسلموا المديون سوى سدس او سبع او ثمن المال الذي لاجلهِ

عقد البيع والشراء · كثيرون هم الذين قبضوا عَلَى املاك الغير وعَلَى منازلهم ولم يعودوا يفكرون بمساعدتهم عند اشتداد الازمة · تركوهم يموتون جوعاً ووضعوا يدهم كورثة عَلَى كل موجوداتهم · ازدادت ثروتهم بهذه الطريقة المحرمة وهم لا يخجلون ان يقولوا علناً · قد انقذنا كثيرين من مخالب الموت عَلَى انهم يأسفون كل الأسف لبقاء البقية منا في قيد الحياة ··· نقول ذلك مستندين الى ما نعرفهُ حق المعرفة عن هؤلاء الظلام ·

وهذا هو الفصل الاول المختص بالمرابين وسيرى القارىء الفصل الثاني فيما يلي من تاريخنا

توزيع الخبز في بيروت

حمى التيفوس وضحاياها — داء الجرب — القمل

دخل شهر تشرين الثاني من سنة ١٩١٦ وكانت بيروت والجبل في حالة من الضنك تفوق الوصف : لا مال في جيوب اكثر طبقات الشعب ولا مؤونة في بيوتهم ولا حبوب في مخازن تجار الذخيرة ولا طريقة لاستجلاب الحبوب الا بواسطة الوثائق كما أفدنا · فاهتمت الحكومة البيروتية تسكيناً لخواطر الاهالي بتوزيع المقادير اليسيرة من الطحين عَلَى الافران التي كانت أسستها في اوائل سنة ١٩١٥ · وعينت البلدية في كلٍّ من احياء المدينة مأمورين

يوزعون عَلَى السكان ارغفة الخبز (او الجرايات كما أُطلق عليها الاسم) أعطوا في بادئ الامر جراية لكل نفر في اليوم وكان وزن الجراية يتراوح بين ربع الاوقية وثلثها . ثم اخذوا ينقصون عدد تلك الجرايات : لكل شخصين جراية في اليوم ، ثم لكل ثلاثة اشخاص جراية . ثم ثلاث دفعات في الاسبوع ولكل ثلاثة اشخاص او اربعة جراية … كان يجري التوزيع على هوى الحكومة التي كانت تهتم فقط بتجويع الشعب وتضحيته .

اما الخبز الذي كانوا يقدمونه فاننا نجهل اصل حبه : أشعيراً كان ام كرسنة ام ترمساً ؟ الله اعلم .. ولم يزل بعض الناس حافظاً شيئاً من ذلك الخبز عَلَى سبيل الذكرى لتلك الايام السوداء

كان الجوع ضارباً اطنابه في وطننا التاعس وكانت حمى التيفوس منتشرة من اطراف البلاد الى اطرافها تفتك بسائر الطبقات غير مشفقة عَلَى الشبان ولا عَلَى الشابات ولا موفرة الغني او صاحب النفوذ والسيطرة . تقتلنا بالعشرات وبالمئات والالوف لا نعرف من اين تأتينا جراثيمها ولا باية واسطة نتقي شرّها وندفع ويلاتها . لا طبيب يداوينا ولا عقاقير تنفعنا . فقد كانت الحكومة العسكرية استدعت من لبنان وبيروت كل الاطباء النشيطين الحاذقين لخدمة الجيش التركي ووضعت يدها عَلَى كل الصيدليات الوطنية واخذت منها العقاقير الطبية . ويقدّر الخبيرون المطلعون تمام الاطلاع عَلَى احوال البلاد ان ضحايا التيفوس في بيروت والجبل لا تقل عن سبعين الفاً

وفي تلك الاثناء كانت انتقلت جراثيم داء الجرب من صفوف العساكر التركية الى الطبقة الواطئة من الشعب فاصبحت اجسامهم والاكال يعذبها ويقرضها مشهداً تشمأزّ منه النواظر وتقشعرّ له الابدان. وانتقل هذا الداء الوخيم من الفقراء الى بقية الطبقات بنوع انهُ عمّ البلاد فلم ينجُ من شره الاّ القليلون. ولسنا ننسي ضربة القمل الذي ملأ المنازل والساحات والطرقات وقد انساب الى العربات والعجلات والقطار الكهربائي. وكثيراً ما كنا نشاهده يدبّ مثل النمل عَلَى جدران بعض البيوت. والغريب اننا كنا من حين الى آخر نرى طائفة من القمل الطيار لم يذكره قبلنا المؤرخون الاقدمون ولا تكلمت عنه كتب الحيوانات

المآوي في بيروت ولبنان

دقت الساعة الاولى من سنة ١٩١٧ وكانت جميع الآفات والنكبات قد حلّت بالبلاد: في بيروت وملحقاتها من مدن الولاية البكاء والندب والرثاء عَلَى نخبة من الشبان الاذكياء الذين قتلتهم الامراض المتنوعة. وفي لبنان لا يجتاز احد ولا يسمع صوت ماشية. من طيور السماء الى البهائم الجميع فرّت وذهبت واصبحت اكثر قرى ذلك الجبل العزيز رُجماً ومأوى لبنات آوى وبلاقِعَ لا ساكن بها دخل الموت منازلنا واجتاحَ اطفالنا وشباننا فسمع صوت ندبنا من

اطراف المعمور : من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب · صحنا صيحة عظيمة رنّ صداها في اذن علي منيف ذاك الطاغية المنافق وفي اذن عزمي ذاك السفّاح الدموي فاتفقا عَلَى تشييد بعض المآوي في بيروت ولبنان اعتقاداً منهما انهما بهذه الواسطة يهدئان خواطر البقية من الاهالي · فضربا عَلَى الشعب ضريبة مالية لاجل مشترى ما يلزم من الاقمشة لكسوة ابناء السبيل وفرشهم واوعزا الى بعض الراهبات الفاضلات أمر الاعتناء بالاولاد الذين ينضمون الى تلك المآوي

وأسسا في بادئ الامر اربعة مآوي في بيروت وثلاثة في لبنان · وما كان احرانا عَلَى رأي بعض الراهبات ان نسمّي تلك المآوي مدافن اولاد لبنان وبيروت فقد اجتمع في كلٍّ منها لا اقل من ثمانمائة نفس حُشرت في اماكن لا يسع الواحد منها اكثر من ١٠٠ او ١٥٠ نسمة ·· فرشوا لهم الفرش عَلَى الارض وأناموا عَلَى كل فراش خمسة او ستة حسبما كانت تقتضي الظروف · وكانوا يقدمون في النهار لكلٍّ منهم زاداً لا يكفي لسد جوع الهرّ الصغير · ومن جراء الازدحام والتجويع نحلت اجسام اولئك الاولاد ودبّت فيهم الامراض المختلفة فحصدهم الموت بالعشرات · ولم يكن يمضي الشهر الواحد عَلَى اولئك التاعسين حتى يمسوا ضمن القبور طعاماً للديدان والحشرات

يدخل المآوي من يخلف السالفين فيصيبهم ما اصاب الاولين · فلم تنقص ضحايا تلك المآوي عن العشرة آلاف من ابناء بيروت ولبنان · ولا تظنن ايها

القارئ العزيز ان تلك الحالة كانت تؤثر على قلبي عزمي وعلي منيف فان غايتهما من تشييد تلك المآوي كانت لقتل الاولاد وابادة النسل من بلادنا المسكينة

البدلات العسكرية الجديدة

او وثائق الحبوب ووثائق المحروقات — تذاكر النفوس اللبنانية

وكانت البلايا ترد على الشعب من كل فج وصوب فعيل صبره وضاقت به الحيل وشكا الى الله امره من مرّ ما كان يذوق من مختلف الآفات وشديد الضربات والنوازل التي انهكت قواه الطبيعية واماتت فيه قوة الارادة والاقدام على الاعمال فوقف دولاب الحركة في البلاد وساد الرعب في كل القلوب عندما جددت الحكومة البائدة الاوامر المشددة بمسئلة تجنيد من كان قادراً على حمل السلاح من ابن ١٨ الى ابن ٥٦ وكان ذلك في اوائل سنة ١٩١٧

وكانوا قد اخترعوا قبل ذلك وثائق الحبوب عندما قلّ واردها ووثائق المحروقات عندما ابصر ارباب الامر والنهي ان الحطب لازم لمتابعة سير السكة الحديدية بين بيروت والداخلية [1]

(١) كانت السدود البحرية الضاربة القاضية على ورود الفحم الحجري الى بلادنا

قلنا فيما مرّ بك ايها القارئ انهم جعلوا في بادئ الامر البدل العسكري ٤٤ ذهباً عثمانياً . وظلت الحال تسير عَلَى هذا النمط الى يوم فيه قلّت جميع اصناف الحبوب في ربوعنا فرضيت الحكومة اذ ذاك ان تبدل ذلك البدل النقدي بمقادير معينة من القمح او من الشعير او من الذرّة البيضاء والصفراء او من الحمص او من العدس او من الفاصوليا او من البطاطا

فتشتّت البيروتيون في سائر انحاء الولايات الداخلية طلباً لتلك الحبوب وتملصاً من شرّ التجنيد التركي الذي كنا نحسبه اكبر آفة من آفات بلادنا التاعسة وكانوا بعد امرّ العذاب يرجعون الى مدينتهم بالمقادير المطلوبة من تلك الحبوب فيقدمونها الى الحكومة ويأخذون ثمنها وثمن اتعابهم وتعطيل اوقاتهم وثيقة اعفاء من الخدمة العسكرية . وهذه هي الوثائق التي أُطلق عليها اسم « وثائق الحبوب » .

وما بين مدّة من الاشهر وغيرها كانت تلك الحكومة الملعونة تجدّد طلب البدل من الاهالي فافتقر الكثيرون من تلك الضرائب الظالمة واضطرت الطبقة الوسطى من الشعب ان تبيع كل اثاثها وموجوداتها غير مبقية عَلَى شيء من حطام هذه الدنيا اتقاءً لشر تلك الاحبولة الهائلة احبولة الخدمة العسكرية

وليس من يلوم اولئك الذين كانوا يكرهون تلك الخدمة التي كانت ترتجف لذكر اسمها قلوب السوريين فلقد كان الاتراك يسوقون الجنود الى ساحة القتال حفاة عراة اهلكهم الجوع واتلفهم المرض

وكل من وقف عَلَى حقائق الامور في تلك الايام الشديدة يعلم جيداً ان الجوع كان يفتك بالجنود التركية فتكهُ بالاهالي وكثيراً ما كانوا يفرون من الخدمة بالعشرات وبالمئات ويطوفون في البلاد بصفة المتسولين قد نحلت اجسامهم وشحبت وجوههم

وعَلَى سبيل الذكرى اننا نورد للقارىء العزيز الانموذج الآتي ايضاحاً لحالة اولئك الجنود :

" اخبرنا شاب من بيروت يدعى ابرهيم الكاتب وهو لا يزال في عنفوان العمر انه طلب مرةً مأذونية لتبديل الهواء كما كانوا يقولون باللغة العسكرية . وكان ابرهيم هذا يخدم الدولة في البلاد الداخلية . وصل الى رياق وكان معه في كيس كان يحمله بعض جرايات من الخبز وتنكة صغيرة فيها نحو كيلو ونصف قازلين . نام ابرهيم واضعاً بالقرب منه كيس الخبز والتنكة المذكورة . شعر بذلك بعض الجنود الاتراك الموجودين في رياق فسرقوا الجرايات وأكلوها لشدة جوعهم مغموسة بالقازلين غير مميزين بين القازلين والسمن . "

فان كانت هذه حالة العساكر الذين كانت تجندهم الدولة للدفاع عنها في ميادين القتال فكيف كانوا يريدون ان لا تقوم قيامة الشعب عندما كان يسمع المنادي ينادي بوجوب الخدمة العسكرية ! كيف لا يبيع ذلك الشعب المسكين كل ما رخص وغلا في سبيل التملص من تلك الخدمة التي كانوا يسمونها خدمة الوطن والدولة ! ..

ولما أوجدت الحكومة البائدة وثائق المحروقات أخذ بضعة اشخاص عَلَى عاتقهم مسألة تقديم الحطب اللازم لخدمة الدولة · وقد أُطلق عَلَى هولاء الاشخاص لقب « ملتزمي الحطب » ·

وأعطى اولو السلطة اولئك الملتزمين أمراً خطياً يمكنهم من قطع كل ما يرونه موافقاً من الاشجار بدون معارض ولا منازع وبالاثمان البخسة التافهة · فاستلم الملتزمون ذاك الامر الخطي وفرّق كل منهم عماله في الجهات المخصصة له من لبنان (١)

وتملصاً من الخدمة العسكرية لجأ الى الملتزمين عدد عظيم من ابناء بيروت متعهدين لهم بتقديم الكميات الكبيرة من قناطير الحطب · ولقاء مقدار معين من الحطب كان الملتزمون يسلمون اولئك المتعهدين وثيقة اعفاء من الخدمة العسكرية · وهذه هي الوثائق التي سموها « وثائق المحروقات »

ومن جراء صعوبة النقل كثيراً ما كان يتعذّر عَلَى بعض المتعهدين القيام بما تعهدوا به من تقديم الحطب فكانوا يضطرون ارضاءً لخواطر اولئك الملتزمين ان يسيروا عَلَى الخطة التركية اي خطة الرشوة · وبهذه الواسطة امتلأت من المال جيوب الكثيرين من الملتزمين الاماجد ·

وليسمح لنا اولئك الملتزمون (ولنا بينهم الاصدقاء) ان نثني الثناء العاطر

(١) كانت الحكومة خصصت لكل من الملتزمين ناحية او اكثر من اقضية جبل لبنان لاجل قطع الاحراش وتقديم الحطب للسكة الحديدية

عَلَى اريحية احدهم جورج بك ثابت فانه بواسطة التزامه الحطب انقذ من الخدمة العسكرية وبدون ما بدل مالي لا اقل من خمسين شاباً بيروتياً لجأوا اليه ٠ ولا يخفى عَلَى كل من تنزه عن الغايات ان جورج بك خسر من جيبه الخاص في مسألة الالتزام المشار اليه مبلغاً من المال يزيد عَلَى ٥ آلاف ليرة عثمانية٠

وكانت نتيجة وثائق المحروقات ان لبنان تعرّى من احراشه ومن اشجاره بعد ان كان غاصاً بالغابات التي كان الشعب يستخرج منها ما يحتاج اليه من الاخشاب الصلبة لصنع مراكبه الضخمة التي ألف منها في سالف الايام اساطيل كبيرة كانت تحمل تجارة اللبنانيين الى اطراف المعمور ٠

وفي اول عهد الحرب كانت الحكومة اللبنانية اوجدت في الجبل اوراق تذاكر النفوس فارسلتها الى قائمقامي الاقضية وهؤلاء وزعوها عَلَى الاهالي بواسطة شيوخ الصلح والمختارين ٠ واوجبت الحكومة عَلَى الشيوخ والمختارين ان يعطوا كل نسمة لبنانية تذكرة [1] وعينوا ثمن التذكرة الواحدة ستة غروش تركية ٠

وكانت الغاية من تلك التذاكر عَلَى ما قاله مجلسنا النيابي ان يتمكن اللبناني الحامل تلك التذكرة من التجول في اراضي الولايات العثمانية بدون منازعة من قبل اولئك المفتشين الذين كانت الحكومة التركية وزعتهم في النواحي العديدة ليسوقوا الى الخدمة العسكرية كل ابناء الولايات الذين كانوا يفرون

(١) الذكور والأناث من ابن يوم الى ابن مائة سنة ٠

من وجه شُعَبِ أَخذ العسكر ٠

ولا يخفى ان الكثيرين من البيروتيين والدمشقيين والحلبيين وغيرهم من باقي السوريين تمكنوا من النجاة من الخدمة العسكرية بواسطة تلك التذاكر اللبنانية فانهم انتحلوا لهم الاسماء الجديدة ولجأوا الى بعض الشيوخ والمختارين في لبنان واشتروا منهم تلك التذاكر لقاء مبالغ مالية متنوعة : منهم بكثير ومنهم بقليل حسبما كانوا يتفقون مع اولئك الشيوخ والمختارين ٠

الهبوط الفاحش في الورق التركي

نتائجه الوخيمة — فحش الغلاء والمجاعة — الفصل الثاني من فصلي المتمولين والمرابين

وما قطعنا الايام الاولى من شهر شباط سنة ١٩١٧ حتى هبطت عملة الورق التركي هبوطاً فاحشاً جداً وكانت نتيجة ذاك السقوط ان التجار في كل البلاد السورية رفعوا اثمان بضائعهم وحوائجهم الى درجة فاحشة للغاية ٠ واعظم الضربات كانت ضربة غلاء الحنطة وباقي الحبوب التي انقطع عنا واردها او كاد من جراء العسكرية التركية والعسكرية الالمانية — النمساوية التي كانت تفرقت في كل الجهات والنواحي ٠ فبتنا ننتظر الموت يوماً تلو آخر ٠

الى من نرفع الشكوى ؟ أ إلى ذاك القائد السفّاح أم الى ذاك الحاكم الظالم أم الى ذاك الزعيم المنافق ؟ ٠٠٠ كان كل منهم يجيب بخشونة وفظاظة :

« ليمت لبنان ولتمت بيروت في سبيل احياء الجيش الذي يحارب ٠ ان

الجنود في حاجة الى الحبوب اكثر من اللبنانيين والبيروتيين ."

كانوا يقولون ذلك واكداس الحبوب في مستودعات الجند تنخرها السوس فاصبحت قشوراً لا فائدة منها للجنود ولا لغيرهم .

علا صراخنا وطبّق عويلنا الفضاء . لا جدوى لنا ! بعنا كل مقتنياتنا وهدمنا بيوتنا و بعنا اخشابها وسقوفها وحجارتها وتشتتنا في المدن وفي السهول وملأنا ارض البقاع و بعلبك وصحراء الشام وجبال حوران وشط الفرات فقتلتنا الاوبئة وافنانا الجوع وملأت جثثنا الطرقات والآجام والاودية والغابات وأكلت لحماننا طيور السماء ووحوش البرّية و بقيت عظامنا وجماجمنا منتثرة مطروحة هنا وهناك تذكاراً مفجعاً لمن يدوس بعدنا ارض لبنان و يتأمل بشقائنا في ابان تلك الحرب الضروس .

هذه كانت حالة الشعب البائس من الجوع والتعاسة بينما كان القسم الاكبر من اغنياء البلاد وزعمائه يتنعمون بكل الملاذ يولمون الولائم الفاخرة و يحيون الليالي المطربة و يختلفون الى المنتديات العمومية ونوادي اللعب حيث يقتلون اوقاتهم و ينفقون اموالهم الطائلة غير مفكرّين باغاثة الملهوف ولا مبالين بدموع اليتيم و بكاء الارملة وعويل العاجز والمقعد .

وكان من عهد اليهم من الاتراك امر الاهتمام بالرعية و بتخفيف الضائقة عن الشعب الضعيف المنهوك القوى يبحثون عن الطرائق المهلكة التي من شأنها الاسراع بابادة الاهالي فمنعوا بتاتاً جلب الحبوب من الداخلية وأُقفلت مؤبداً

الافران التي كانت تشتغل لاطعام الشعب ·

ومن بقي منا في قيد الحياة وكان لم يزل له بيت او املاك لجأ في تلك الآونة الشديدة الى تجار الرباء · او اذا شئت قل تجار الارواح · فاعطوا من شاؤا خمسين ليرة تركية من صنف الورق تساوي قيمتها على الكثير خمسين ريالاً مجيدياً وأخذوا منه اثماء ذلك بيتاً واملاكاً لا تقل قيمتها عن الف ليرة ذهباً · وقد تنوّعت في تلك الايام قروض اولئك المتمولين فمنهم من اشترى جنينة طويلة عريضة ببضعة اذرع من الثيت او الخام او الكتان ومنهم من تملك بستاناً من الزيتون لا تقل مساحته عن فدانين او ثلاثة لقاء ذراع من الصوف او الجوخ المخزون في محله التجاري ومنهم من صارت له كروم العنب واراضي التين الواسعة لقاء كم شمسية وكم منشفة وجه وكم فوطة سفرة · ومنهم من تملك المروج الغناء والسهول الخصيبة لقاء عشرين او ثلاثين ورقة تركية ·

هكذا اقرضنا المرابون اموالهم واليوم بعد ان وضعت الحرب اوزارها يريدون ان يتقاضونا ليرتهم التركية التي كانت تساوي عشرين غرشاً تركياً ثلاثمائة واربعمائة وخمسمائة غرشاً مصرياً · وهذا ما يجيزه لهم وجدانهم ويسوّغه ضميرهم ويأمر به دينهم ··· ولسنا ندري كيف يكون مصير تلك الديون بعد نهاية الموراتوريوم وكيف تحكم الحكومة التي نلفت انظارها الى هذا الامر الهام طالبين من عدالتها ان ترأف بحالة الضعيف الذي اراد الغني ان يبتلعه في عهد الحكومة البائدة الظالمة ·

علي منيف ناظر النافعة

استلام محاسبجي الجبل ادارة الشؤون بالوكالة

مداخلة عزمي بك والي بيروت بامور لبنان وتأسيسه المطاعم
وكيفية توزيع الأكل والخبز في تلك المطاعم

وفي ابان تلك الأزمة الشديدة كان الاتراك في الاستانة عزلوا من مصاف الوزراء كل اجنبي عن عنصرهم ففرغت بذلك كرسي وزارة النافعة فقرّر رئيس الوزارة التركية ان يعين لهذا المنصب علي منيف متصرف لبنان وكان علي ينتمي كبقية الوزراء الى جمعية الاتحاد والترقي .

وادّعى ذلك المنافق ان اشغالة الشخصية تقضي عليه بالبقاء في لبنان الى أجل غير مسمّى فالتمس مهلة فنالها واناب عنهُ في الاحكام اللبنانية محاسبجي المتصرفية . وظلّ علي بعد ذلك يأمر وينهي ويطغي ويبغي الى يوم فيه غادر ربوعنا قاصداً الاستانة لاستلام مهام منصبه الجديد .

ولا يخفى علَى احد ان ذلك المحاسبجي (وكان تركياً) الذي وكله علي منيف بادارة لبنان لم يكن الاّ خيالاً وحاكماً وهمياً لان الجو بعد سفر علي خلا لعزمي والي بيروت فتداخل بامور الجبل وبسط عليه سيطرتهُ يتعاطى الاحكام كما شاءت ارادته .

واراد عزمي ان يظهر للناس انه يعطف عَلَى اللبنانيين و يعمل لتخفيف الضائقة عن البائسين · ومنو الذي عرف وجه ذاك الطاغية ولم يقرأ عَلَى محياه اليابس علائم القسوة والجفاء وأمارات العتو والبربرية · قلنا واحب ذاك الدموي ان يظهر لنا انه يحنو عَلَى شعبنا فأسس في بعض النقاط الساحلية سبعة مطاعم يعني مديرو اعمالها بتوزيع الاكل والخبز عَلَى المعوزين · واعطوا كل محتاج خشبة صغيره بمثابة علامة او وثيقة يقدمها حاملها الى المطعم فينال حصتهُ من مواد التغذية الموجودة في ذاك المطعم · فتراكض القوم (وكان في اشقى الحالات) من اعالي الجبل ومن اواسطه · فكان كلٌّ وحسن بخته فمن ساعدته الظروف نال شيئاً من القوت ومن عاكسته عاد الى قريته حزيناً صفر اليدين انهكه الجوع والتعب من طول الطريق ومشاقها

ووزعوا الاكل والخبز عَلَى اسبوعين ومرّة واحدة في الاسبوع لا غير وبعد ذلك امر عزمي بقطع الزاد والقوت عن لبنان شأن كل المشاريع التركية في ديارنا السورية

وفي عهد تلك المطاعم كثرت جرايات الخبز في ساحات بيروت حيث كانت تباع بالمناقصة · وكان الفضل في ذلك لمن عهد اليهم امر توزيع تلك الجرايات فانهم بدلاً من توزيعها بجملتها عَلَى اللبنانيين المعوزين كانوا يوزعون ربعها او ثلثها وكانوا ينزلون الباقي الى سوق التجارة (عَلَى مودة تلك الايام)

اسمعيل حقي بك متصرف لبنان

(في ١٠ ايار سنة ١٩١٧)

عودة المبعوثين اللبنانيين من الاستانة — محكمة دير السانطه
جمال باشا و بطريرك الموارنة في بحمدون

وفي اليوم العاشر من شهر ايار سنة ١٩١٧ استلم اسمعيل حقي بك منصب متصرفية لبنان خلفاً لعلي منيف . فترك الاستانة قاصداً الجبل مقر وظيفته وكان يصحبه مبعوثو لبنان : وهم الامير حارس شهاب والامير عادل ارسلان ورشيد بك الرامي . وكان هولاء المبعوثون حين اقامتهم في الاستانة يدافعون اثناء مناقشات المجلس عن حقوق اللبنانيين ويبينون الحاله التعيسة التي وصل اليها الشعب . فقرّر ذلك المجلس بالاتفاق مع الوزراء وجوب مساعدة لبنان بمبلغ معيّن من المال يرسل اليه شهرياً عَلَى يد المتصرف . وقد قابلنا رشيد بك الرامي في عمارة شلهوب (من اعمال ساحل بيروت) فأكد لنا هذا الشيء وقال لنا اذ ذاك ان ان المتصرف الجديد يحمل معه الى اللبنانيين مبلغ ستين الف ليرة تركية . فتوسمنا بذلك خيراً وقلنا عسى ان تنفرج الازمة قريباً في جبلنا التاعس . لكن واحسرتاه ! مضت الايام والاسابيع والاشهر ولم يرَ ذاك الجبل ادنى مساعدة ولا اشتمّ رائحة المعونة والعضد وازداد في تلك الاونة عدد قتلي الجوع وضحايا الشقاء وخمّ الهواء من الجثث المطروحة في البراري وعَلَى

الطرقات ولم يكن للناس حديث الاّ عن حالة لبنان التي يرق لها الجلمود . وكنا كلما اجتمعنا في بيروت ببعض الاصدقاء نبكي ذاك الجبل العزيز مهد الجبابرة والمردة نبكي ذاك الجبل الذي كان فيما مضى يحمي الوف البائسين والضعفاء فاضحى بلا محامٍ وبلا معين خيم الموت والحزن فوق ربوعه ولبس السواد حداداً عَلَى بنيهِ وبناتهِ .

وفي اواسط شهر ايار من تلك السنة (١٩١٧) شاع في البلاد انه يوجد شركة وطنية تشتغل بالجاسوسية للفرنساويين وحلفائهم وتسفّر عَلَى الدوارع الافرنسية أُناساً يشتغلون في هذا السبيل . وقالوا ان تلك الشركة فرّقت اعضاءَها بين بيروت وجونيه وباقي الشطوط اللبنانية الشمالية . وبلغ مسامع عزمي بك من احد انذال اللبنانيين ان للبطريرك الماروني يداً في الشركة فأمر ذاك السفّاح بتشكيل محكمة استنطاقية بدير السانطه (بيروت) كانت تستدعي اليها كل من وُشي عليه وكل من وقعت عليه شبهة مداخلة في تلك الشركة . وكلٌّ يذكر كم قاسى من انواع الاضطهاد والظلم اولئك المتهمون الابرياء : منهم من جلدوهم مدة شهر واكثر ومنهم من سجنوهم نحواً من ثلاثة اشهر كانوا يذوقون في خلالها ضرباً مؤلماً تعجز عن وصفهِ الالسنة ومنهم من نفوهم بعد ان عذبوا اجسامهم بالحديد المحمى [(١)]

---

(١) وآخر من قضي عليه بالنفي بموجب انهاء محكمة السانطة لويس سمعان الزغبي « ابن ١٠ سنين » واخته وديعة وعمرها « ١٩ سنة » اصلهما من جديدة غزير « كسروان »

ورغماً عن انه لم يستدل على الاطلاق انه لم يكن للبطريرك الماروني ادنى علاقة بتلك الشركة اوعز عزمي بك الى جمال باشا انه يجب ابعاد البطريرك من مقرّه بداعي ان وجود غبطته هناك مضر بسلامة البلاد وبصوالح الدولة العثمانيـــة · ولم يخجل عزمي ان يقول عن البطريرك انهُ كان اكبر جاسوس لدولة فرنسا ·

فنتج عن ذلك ان جمالاً كتب كتاباً الى بطريرك الموارنة فيه يلحّ عليهِ بالحضور الى بحمدون مبيناً لغبطته انه يروم الاجتماع به لمخابرته بجملة اشياء تتعلق بلبنان واهمها مسألة اعاشة الجبل · فلبى البطريرك طلب ذاك السفاح وذهب الى بحمدون وبمعيته بعض مطارنة الطائفة وكان ذلك في اليوم الخامس والعشرين من تموز ·

واضطربت خواطر الجميع في لبنان من جراء ذاك الطلب وبتنا نتساءَل ما عساه ان يكون هذا الاجتماع أَ لخير البطرك أَم لويله · وشاع اذ ذاك ان جمال باشا أَعدّ في مدينة زحله محلاً لاقامة البطرك الى أَجل غير مسمى ·

وكان جمال يلاطف البطريرك ويجامله كل المجاملة مظهراً له كل ارتياح

يقيمان اليوم في بيروت بالقرب من مدرسة الحكمة المارونية ·· سافر اخوهما يوسف من جونيه على داوعة افرنسية فطلبوهما الى ديرالسانطة وبعد الضرب المؤلم ارسلوهما الى قونية على ظهر قاطرة مشحونة حطباً ·· اما الجنود الذين كلفوا امر المحافظة عليهما فانهم انتزعوا اقراط الذهب من اذني وديعة واساورها من يديها ·· وتاريخ نفيهما في منتصف ايار سنة ١٩١٨

الى وجوده بالقرب منهُ · وقد طلب جمال من البطريرك شهادة خطية باللغة الافرنسية معلنة حسن صنيعه في البلاد · وكأن ذاك الطاغية نسي مظالمه التي فاقت مظالم نيرون وفظائعه التي محت فظائع الفراعنة · كأنهُ نسي المئات التي سجنها والالوف التي نفاها · كأنهُ نسي اعواد المشانق التي لا تنسى هولها ارض سوريا تلك المشانق المشؤومة التي علّق عليها نخبة من الابرياء تصرخ دماؤهم الزكية طالبةً الانتقام اولئك الابطال الذين نبكيهم مدى العمر ويبكيهم من بعدنا ابناؤنا وابناء ابنائنا ·

وكما ان ذاك المنافق ارغم البطريرك فيما سلف ان يطلب الفرمان السلطاني له ولمطارنته · ارغمه في تلك الآونة الظالمة ان يخطّ له بيده شهادة حسنة تكون في معتقد جمال سلاحاً يحميه من اللوم والتعنيف لدى الاقتضاء وحجة تبرره من وصمة تلك المظالم التي ملأ ذكرها الخافقين ·

وفي ذاك الاجتماع أبان البطريرك لجمال باشا سوء حال الاهالي من جراء الجوع والاوبئة ورجاه ان يسعى لتخفيف الضائقة عنهم صوناً لحياة البقية الباقية التي كان عددها يتناقص يوماً فيوماً · فوعده جمال خيراً واكد له انهُ يرسل اليه في كل مدة بعض قاطرات مشحونة حبوباً لاطعام الفقراء اللبنانيين ·

وفي اليوم الرابع عشر من شهر آب غادر البطريرك بحمدون قاصداً قرنة شهوان كرسي ابرشية قبرس ومكث فيها بضعة اسابيع كان في خلالها يزور بيت شباب وبكفيا والقرى المجاورة حيث كان الجميع يهنئونه برجوعه بالسلامة · وبعد

وصوله الى مقره البطريركي في بكركي وردت من الداخلية كمية من قاطرات الحبوب مرسلة من قبل جمال باشا فامر البطريرك بتفريغ قسم منها في المقام البطريركي وارسل القسم الاوفر الى المقامات الاسقفية لتوزع من هناك على الكهنة والمعوزين من ابناء البلاد (١)

انسحاب جمال باشا من القيادة العليا

واستلام الالمان الادارة العسكرية — تلاعب امير آلاي الجند اللبناني بالحبوب

واشتدّ الخلاف في ذاك العهد بين جمال باشا وقائد القوى الالمانية — النمساوية التي ارسلوها الى بلادنا لتزحف مجدداً الى ترعة السويس فان الالمانيين الذين كانوا يجهلون اهمية المعدات الحربية الانكليزية حيال الترعة كانوا يقولون بوجوب الزحف كيف كان الامر . اما جمال باشا وقد ذاقت عساكره امرّ الاهوال في اثناء زحفه الاول فكان يعارضهم قائلاً انه يقتضي للهجوم على تلك الترعة قوى هائلة لم يكن بوسع المانيا والنمسا وتركيا ان تجهزها في تلك

(١) لما طُلب بطريرك الموارنة الى بحمدون تحركت عوامل الغيرة الدينية في قلب القاصد الرسولي السيد فريديانو جيانيني . وخشي ان يمس شخص غبطته بالسوء والضرر فلجأ باحدى الوسائل الى قداسة البابا بنديكتوس الخامس عشر المالك سعيداً ملتمساً منه ان يسرع الى الاهتمام بمسألة البطريرك فبذل قداسة البابا قصارى جهده في هذا الامر وكانت له القوّة الفعالة

الاحوال والظروف · ورأى جمال ان الالمانيين مصمّمون النية عَلَى الهجوم عَلَى الترعة فانسحب من القيادة تاركاً بيدهم زمام العسكرية

ومن جرّاء انسحابه هذا انقطعت عن البطريرك الماروني قاطرات الحبوب التي وعده بها جمال

واستلم الالمان القيادة ووضعوا يدهم عَلَى كل المؤن والاقوات التي من شأنها ان تساعد الجنود وفضلاً عن ذلك احتكروا كل انواع الحبوب وشرعوا يرسلون ما يفضل عن الجند الى بلادهم · فازداد بذلك الغلاء فحشاً في بلادنا وبالنتيجة ازداد الشقاء واشتدت المجاعة ففتكت فتكاً هائلاً ببقية الشعب اللبناني

ولم يكتفِ الالمان بوضع يدهم عَلَى الحبوب بل اظهروا سيطرتهم العسكرية وبذلوا اموالهم الطائلة في سبيل مسابقة اهل البلاد عَلَى كل الحاجيات غير موفرين عصير العنب من دبس وخمر وعرق وكل مشروب كحولي فارتفعت بذلك جميع الاسعار ارتفاعاً فاحشاً للغاية وازدادت المعيشة حراجةً

وظلّت العسكرية الالمانية تسمح بتوريد القليل من الحبوب من الداخلية الى مأموري الحكومة في لبنان وبيرت ولبنان · فاغتنم امير الاي الجند اللبناني (١) فرصة تلك الاحوال للمتاجرة بالحبوب · فارسل الى حلب في ابّان ذلك الغلاء الفاحش ٢٧ قاطرة من قاطرات السكة الحديدية كانت مشحونة

(١) وكان اسمه احمد وفيق وهو تركي العنصر

بانواع الحبوب المخصصة للبنان · فدرت بالامر الحكومة اللبنانية واحتجت على الامير آلاي المشار اليه لدى القيادة الالمانية فامرت هذه القيادة بارجاع تلك القاطرات من حلب الى لبنان · غير ان شركاء ذاك اللص كانوا استلموا القاطرات وباعوها للتجار ما خلا قاطرتين أرجعتا الى لبنان وتوزع محمولهما على من يلزم وكان نصفه ترابًا والنصف الآخر زوانًا وقليلاً من الحنطة

دخول سنة ١٩١٨ واشتداد الغلاء

القرض الداخلي — الاحتكار — عزل عزمي بك والي بيروت — بعض الحوادث المفجعة

وما اضاء علينا صبح اليوم الاول من سنة ١٩١٨ حتى كانت سماء البلاد لبست الكُدرة حداداً عَلَى ضحايا الظلم والجوع والوباء · اضاء صبح ذلك اليوم وشمسه حزينة عَلَى ما لاقى لبنان في ثلاث سنوات من هول تلك المجازر التي لم تروِ التواريخ لها مثيلاً · حزنت شمس ذلك اليوم وحزن معها البقية الباقية منا لما شاهدنا جبلنا انَّت ابوابهُ نائحة واضحت منازله خاوية · لاديار فيها ولا نافخ نار · نحنا لما رأينا لبناننا طلع الشوك في قصوره والقراص والعوسج في دوره واصبح مأوى لبنات آوى · بكينا لما تذكرنا ان الظلاّم نهبوا اليتامى وسبوا الارامل والعذارى · ناحت اوض لبنان واسودت سماؤه لما رأت اللبنانيين ملأت جثثهم الطرقات وصارت زبلاً في وسط الشوارع · رقّت للبنان الجلامد

ورثت لحاله مشارق الارض ومغاربها وقسم من مواطنينا لا يزالون يحيون ليالي الطرب ويتنعمون بالمسرات ويخترعون طرائق متنوعة من شأنها زيادة التضييق عَلَى عباده تعالى · فاية حاجةٍ لم يحتكروها ! او اي صنف لم يرفعوا ثمنه مائة ضعفٍ واكثر ! هل بقيت في ارض سوريّة حبة من انواع الحبوب نجت من يد العسكرية وما وضعوا عليها يدهم ! أَما تزاحموا في ميدان الطمع واحتكروا الزيت والسمن والصابون والبصل والارز وكل ما له علاقة بحاجيات المعيشة ؟ أَما جعلوا ثمن ذراع الشيت مائة غرش وذراع الخام مائة وعشرة غروش وذراع المقصور مائة وعشرين غرشاً ؟ أَما عينوا ذراع الكتان بمائة وخمسين غرشاً ويرد الصوف بسبعمائة وثمانمائة غرش ومتر الجوخ بالف وخمسمائة غرش · أَما سعروا منديلهم بعشرين وثلاثين غرشاً؟ أَما اعطونا زوج كلساتهم بمائة وسبعين غرشاً · أَما باعونا حذاءهم بالف غرش وبألف وخمسمائة غرش ؟

كل هذا عملوه بنا وتأففوا وتذمروا لما بلغتهم اوامر الحكومة في الاستانة انها فرضت قرضاً داخلياً لمتابعة الحرب موجبة عَلَى كلٍ منهم وقد ربحوا في تلك الاحوال القناطير المقنطرة من المال ان يدفع مبلغاً معيناً من ارباحه (كلٌ بحسب ما ربح) ·

أُجبرتهم الحكومة البائدة عَلَى دفع تلك الضريبة فوجدوا باباً به يعوضون خسارتهم هذه فانهم بواسطة زبائنهم وعملائهم نقّبوا في كل الزوايا التي توفرت فيها بعض الحبوب وسائر الموادّ الغذائية ومهدوا الطرق لاستجلابها الى مخازنهم

واذ ذاك بُلينا من جرّاء الغلاء بما يذيب الشحم ويقرض اللحم وكنا صابرين صامتين فأكلنا رطل الدقيق من حب القمح بثلاثمائة غرش وسابقنا الخيل والبغال والحمير فاكلنا رطل الدقيق من حب الشعير بمائتين وخمسين غرشاً ومن حب الذرة بمائتين وثلاثين · اكلنا رطل السمن بخمسمائة وستمائة غرش ورطل الزيت بثلاثمائة واربعمائة ورطل البصل بمائة وعشرين ورطل البطاطا بمائة وخمسين وانقطع عنا وارد الارز بعد ان أكلنا رطله بثلاثمائة واربعمائة غرش وغسلنا بالصابون وكان رطله بثلاثمائة غرش ·

ولما بلغ الغلاء هذه الدرجة الفاحشة كنا نطوي الايام الاولى من شهر ايار · وفي تلك الازمنة الهائلة ملأت جثث قتلى الجوع الشوارع والطرقات واستأصل الله من كل القلوب شواعر الحنان والشفقة فلم يعد احد يبالي باطعام الجائع كسرة من الخبز بها يسدّ رمقه · ومن جرّاء ذلك الاحتكار وذلك الغلاء رفعنا الشكوى الى عزمي وكان اكبر اللصوص وزعيم المحتكرين فأظهر انه يبذل الجهد في سبيل فض ذلك المشكل الهام وامر بامساك ستة من اولئك المحتكرين واذاع في كل بيروت انه عازم عَلَى نفيهم الى اقصى الداخلية ان لم يبادروا الى اسقاط اسعار الحبوب بالحال والسرعة · وقد أعطاهم عَلَى ما نذكر مهلة ثمانية واربعين ساعة فقط ··· ومضت تلك المهلة فأُطلق سبيل اولئك المحتكرين ولم نعلم كيف ولماذا · وظلت اسعار حبوبهم غالية غلاءها الاول ··· أنّ الشعب وعلا صراخه من تلك الحالة لكنّ الظلاّم لم يبالوا بذلك ولا همّهم

أنين الجياع وصراخ المساكين وعويل اليتامى [1]

وفي تلك الازمنة الهائلة أمر عزمي بحفر الحفائر في رمل بيروت لدفن الموتى بالمئات والالوف . في تلك الازمنة الهائلة أمر ذاك الدموي بجمع كل المتسولين في بيروت من صغار الاولاد فالتقطهم البوليس من على الطرقات والساحات وحشروهم بالمئات بين اوساخ الحيوانات في الخانات الكائنة على جانبي طريق الشام حذاء ساحة البرج فمات اولئك المساكين جوعاً في خلال اسبوع واحد وكانوا نحو الف ولد . في تلك الازمنة الهائلة اتصلت القساوة البربرية ببعض متولجي نقل الموتى الى المدافن ان يدفنوا الاحياء جنب الاموات . يا الله ! اين عدلك ! .. هناك في بيروت في النقطة المعروفة بطلعة بسترس بالقرب من ساحة البرج وحذاء طريق النهر .. هناك في منعكف الطلعة على الزيتونة بجانب ملك (نجيب التيان) هناك نظرت رجلاً ضعيفاً ملقىً في قناة الطريق وقد سمعته يئن من الجوع وكادت روحه ان تفارق الحياة . هناك وقفت العجلة المعدّة لنقل جثث الاموات الى مدفنها في الرمل . و بعد ان التقط السائق ومعاونه عدداً من جثث الاموات المطروحين هنا وهناك أمرهما البوليس

---

(١) ولسنا ننسى كم تلاعب باجناس الطحين كلٌّ من اصحاب المطاحن وتجار الحبوب . اظنهم يذكرون انهم اطعمونا بسعر طحين القمح طحين الكرسنّه والترمس والزوان وطحين تلك المواد الغريبة التي لم تكن لتخطر لنا ببال . أطعمونا ذلك وقالوا بكل قحة ان لم وجدانا .. كذبوا ! ..

بشحن ذاك الرجل وكان لم يزل حياً كما قلنا · فقال السائق للبوليس : يا افندي انه لم يمت بعد ·

— وما الفائدة من ابقائه هنا ؟ انه يزعج المارّة بانينه · الاوفق ان تأخذه الآن فاني ارى انه سيموت قبل بلوغك الرمل ··· وبعد ان وضعوا ذلك المسكين عَلَى ظهر العجلة · قال لهم : اتأخذوني الى المقبرة حياً ؟ فانتهره البوليس قائلاً : اصمت ! انت نصف مائت وستفارق روحك جسدك قبل ان تصل الى المدفن ··· ذلك مشهد رأَيناه بأُمّ العين فقلنا في نفسنا : أَلا تنتقم العدالة من اولئك الظلام ! ·· (١)

واشتد الخلاف بين عزمي بك وبين بعض ارباب الامر والنهي في الاستانة فعملوا عَلَى كسر شوكته وعزلوه من منصبه وأَوجبوا عليه ان يترك بيروت بكل سرعة · فغادرها مرغماً حزيناً كسير القلب تنهال اللعنات عليه من كل فجٍ وقد ملاء سماء تلك المدينة وارضها من فظائعه التي يعجز عن وصفها افصح لسان

وفي ابان ذاك الغلاء الفاحش تعدّدت الحوادث المفجعة التي ترتجف لذكرها الصخور الصمّاء ولم نكن لنصدّقها لولا اننا ما رأَينا بعضها بام عيننا وسمعنا

---

(١) ذاك البوليس هو رشيد شحاده « من مسلمي طرابلس » وكان يومئذٍ من انفار بوليس دائرة الجميزة ··· اما الرجل الذي التقطوه من قناة الماء فهو : يوسف الدوماني : وهذا كان من جملة موزعي جريدة البشير قبل نشوب الحرب.

بعضها من فم الثقات الذين يزنون كلامهم بميزان الصدق والتروي قبل ان ينطقوا به لتتناقله الالسنة ٠٠ وانا نورد هنا شيئاً قليلاً جداً من تلك الحوادث عَلَى سبيل الذكرى لتلك الايام السوداء :

شاهد الكثيرون في حي راس بيروت بالقرب من مدرسة الصنائع ولدين يلتقطان حب السمسم من بين اكداس الوسخ بينما كان جماعة غيرهما حائمين حول كتلةٍ من عظام الحيوانات المائتة يمتصونها بنهم الوحوش ٠

واخبرنا ثقة انه بصر (في حارة حريك) بنفرٍ من الناس رجالاً ونساء وصغاراً يتسابقون عَلَى اوكار النمل لالتقاط الحبوب من فم تلك الطائفة ٠٠ ونحن بام عيننا شاهدنا (في بيت شباب) الولد المسمى نصري سعيد مراد غبريل يلتقط الحب من فم النمل بالقرب من كنيسة سيدة الاخوية في القرية المشار اليها وقد شاهد معنا هذا الحادث المعلم امين نفاع (من القرية المذكورة) ٠ ولا يزال المعلم امين يذكرنا بذلك كلما التقينا ٠ والولد نصري ما برح حياً يروي تلك الحادثة وصحته جيداً وهو يناهز الحادية عشرة من عمرهِ ٠

شاهدنا وشاهد الكثيرون مراراً متعددة جماعة الفقراء امام مطحنة الطويل ومطحنة البراج (في بيروت) ينقّبون في براز الخيل والبغال والحمير لالتقاط بعض الحبوب التي كانوا يتناولونها حاسبين ذلك الخر طعامٍ لهم ٠

وكم من مرّة التقينا بالبعض يتزاحمون عَلَى قشور الفاكهة وحسك السمك ! ٠

وفي احد الايام عثروا عَلَى طريق الحدث عَلَى جثة شاب لبناني مطروحة بالقرب

من شجرة زيتون . اعلموا بذلك مدير الساحل فاستدعى هذا طبيباً لفحص الجثة فقرر ان ذلك الشاب مات متأثراً من كثرة اكله قشر الليمون الحامض .

وفي سهول البقاع حيث تشتت من بقي حياً من اللبنانيين عثروا على جثث عديدة من جثث الجمال التي قتلتها الامراض فاجتمع حولها الآدميون والكلاب يقتتلون في سبيل الحصول على بعض لحمانها وعظامها .

وقد روى لنا اسعد يوسف درويش الحائك (كان يشتغل مع جماعة الالمان في رياق) ان الالمانيين رموا في رياق جثة حصان مات بالمرض الذي يسميه العرب : — بالجمرة الفارسية — قال لنا ان الذئاب وبنات آوى أبت ان تأكل لحم تلك الجثة . وعرف بذلك اخواننا اللبنانيون التاعسون فتزاحموا هنالك وأكلوا تلك الجثة من الراس الى القدم . غير انه لم يمض عليهم الليل القادم حتى ماتوا عن آخرهم وكان عددهم لا يقل عن الاربعين . فدفنهم الالمان في حفرة عميقة كانوا اعدوها لدفن جثث الخيل التي كانت تموت بذاك المرض حتى لا تسري العدوى الى بقية الناس .

واخبرنا جمهور من اهالي معلقة الدامور ان المدعو خطار شهدان السلفاني (كان قاطناً الدامور) من سلفايا : مديرية الشحار : قضاء الشوف . أكل لشدة جوعه ثلاثاً من جثث الآدميين ...

ولم نزل نذكر ويذكر معنا كل من بقي حياً من اهالي مزرعة القنيطري (مديرية القاطع — قضاء المتن) ان المدعوة هيلانة ابنة صليبي عبد أكلت

جثة ابنة اخيها نجيب صليبي عبد ·

وقد افادنا احدهم ان ثلاثة من ضواحي المتين ادى بهم الجوع الفضاح الى أكل جثث الآدميين ·

وقد اتصل اليأس بالمدعو بطرس نصر من عمارة شلهوب (من اعمال ساحل بيروت) ان يأخذ ابنهُ وابنته حيَّين الى نهر الموت حيث دفنهما في احدى الحفائر وكان الصبي ابن سنتين واختهُ ابنة اربع سنوات · غير انهُ لم يطُل الامر عَلَى بطرس هذا حتى تضعضع رأسه ونحل جسمه وقضى من الجوع ·

واننا ننقل عن فيليب افندي فارس (قوميسير محافظة الجمرك في بيروت في الآونة الحاضرة) حادثة طرابلس التي اشتهر امرها في كل بلادنا وهي : ان اربع نساء من حردين (لبنان) نزلنَ الى ميناء طرابلس واقمنَ في النقطة المعروفة بمحلة (فوق الريح) فذبحنَ باوقات مختلفة اربعة من اطفال الآدميين وأكلنهم ورمينَ عظامهم في بئر محفورة في تلك النقطة · وقد أَجرى تحقيقات تلك الحادثة الفظيعة ارسلان بك الشركسي احد قوميسيرية بوليس طرابلس في ذاك العهد فزجوا النساء الاربع في سجنٍ مظلم حيث قضينَ نحبهنَّ في الاسبوع الاول ·

— وافادنا البعض من اخواننا اللبنانيين الذين كانوا في سهول البقاع في ابّان ذاك الغلاء الفاحش ان عدداً وافراً من فقرائنا كانوا يأكلون كل ما تصل اليه يدهم من ورق الحور وورق العنب وورق التين وثمره الفج · وكانوا كلما

غثروا عَلَى جثة حيوان يجتمعون حولها مغتذين بلحمانها تشاركهم بذلك طيور السماء — ٠

وهنال مجال لان نذكر حادثة ﴿ الريال المزيف ﴾ التي وقعت في السنة الثانية من الحرب وقد تداولتها الالسنة فافرغها صديقنا بشاره الخوري صاحب البرق في القالب الشعري الذي تراه :

ويح الفقير فما تراه يلاقي سدّت عليهِ منافذ الارزاقِ
عصفت بهِ وبسربه ريح الشقا فتساقطوا كتساقط الاوراق
فاذا بصرت به عجبت لشمعة كالزعفران تجول في الاسواق
علقٌ المجاعة مصّ بعض دمائهِ وتعسّف الحكام مصّ الباقي

***

اخذ الشقا يدها فسارت خلفهُ والليل ممدودٌ عَلَى الآفاقِ
سارت فماس الخيزران بقدهـا ورنت فذاب السحر في الاحداق
وتلوح آثار النعيم بخدها كالفجر قبل تكامل الاشراق

***

اخذ الشقا يدها فان هيَ فكرت بمصيرها صعقت من الاشفاق
ووهت عزيمتها فالقت نفسها فوق الثرى وشكت الى الخلاق
تشكو بمدمعها وذلّ فؤادها وبما تحسّ به من الاحراق
يا ربِ ! قالت وهي جاثيةٌ له ان شئت حلّ من الحياة وثاقي

قدعشت عمري ما عرفت بريبةٍ وعبدتُ بعدك عفتي وخلاقي
والآن والايام ملأى بالاذى قد اصبحت وقراً على الاعناق
زوجي يحارب في التخوم وطفلتي فوق الفراش تزيد في ارهاقي
من امها تبغي الغذاء لجسمها من امهـا تبغي الدواء الواقي
وطرقت ابواب الكرام فاوصدوا ابوابهم فرجعت بالاخفاق

***

سامَ الفتى عرضي . . فيا لك من فتىً كاس الغنى عارٍ من الاخلاق
هب ان اختك والزمان اصابها مثلي اصابت سافل الاعراق
أفكان سرك ان ترى احسانه ثمن العفاف لضمةٍ وعناق
خفف على عنقي الضعيفة وانشد اني رأيتك آخذاً بخناقي
ان الريال غنى ولكن عفتي فوق الغنى ونفائس الاعلاق

***

أ اصون عرضي؟ وابنتي؟ وحياتها؟ وعلاجها يحتاج للانفاقِ
انا ان اعف قتلتها فعلام لا تحيي بماء تعففي المهراق
لا ! لا تموت فانها لبريئةٌ حسناء ما شبت عن الاطواق
اني مفارقـةٌ ابنتي او عفتي فعلى كلا الحالين مرُّ فراق
والذنب للايام في حدثانها والذنب للاخلاق غيرَ رواقي

***

رباه حلمك فالمصائب جمةٌ — وانا بواحدةٍ يضيق نطاقي
لو شئتَ موتاً لابنتي لاخذتها — وجعلتَ طهري قدوةً لرفاقي
لكن اردتَ بقاءها واردتَ لي — فقري . أتظمئني وانت الساقي ؟
ستعيش بنتي وليكن ما شئتهُ — ستعيش لكن من لهى العشاق

. . . .

ومشت لموعده بماء جفونها — القرحى وجمر فؤادها الخفاق

***

لو صوروا اللؤم الذميم لمثلوا — (ذاك الفتى) عدواً من الحذاق
ترعى السفالةُ في مجاهل قلبه — وتطلْ ان شبعت من الاماق
ومتى يحاول حجب مكنوناتهِ — يلبس محياه حجاب نفاق
قنص الفتاةَ بفقرها وشقائها — « وبما تكابد من اسىً وتلاقي »
حتى اذا اختليا انثنى بوصالها — وقد انثنت بريالهِ البرّاق

***

رجعت وفي يدها الريال ورأسها — لحيائها متواصل الاطراق
وكأنها خطرت لها ابنتها وما — تلقاه من الم الطوى المقلاق
فاصابها مثلُ الجنون فتمتمت — بشراكِ اني عدت بالترياق
هو ذا الريال فانهُ نعم الذي — يهب الشفـاء لنا ونعم الواقي
هو ذا الريال—وقد تألق—ماحق — دجن الهموم—وقد اردنَ محاقي

هوذا الريال ولم يكن لولا ابنتي ليسومني نكراً عَلَى الاطلاق
ومضت الى الطباخ تلجم ما بها لفتاتها من لاعج الاشواق
قالت وادته الريال ألا اعطني بعض الغذا واردد عليَّ الباقي
أسرع فانك ان تؤخرني تذق من جوعها بنتي امرَّ مذاق

....

نقف الريال باصبعيه وجسَّه وانهال بالارعاد والابراق
قبحاً لوجهك ... سيدي اتسبني عفواً وتحسبني من السرّاق ؟
— لا ! فالريال مزيفٌ
..... — امزيفٌ ... صاحت .. وقد سقطت من الارهاق

....

سقطت عَلَى قدم الشقا فبكت لها عين العلى ومكارم الاخلاق
وبكى عفافُ الآنسات عفافها خللَ السجوف بمدمعٍ مهراق
ياطيرَ عفتهـا فديتك طائراً هلاَّ حذرتَ حبائل الفساق

....

طلعت عليها الشمس وهي سجينةٌ وفتاتها ضيفٌ عَلَى الاسواقِ
اما (الاثيمُ) فلا تزال شباكه منصوبةً لنواعس الاحداق
يسقي الرحيق بأكوسٍ ولواحظٍ والله يكلأُ « وهو نعم الواقي » ...

اسماعيل حقي بك والي بيروت

ممتاز بك افندي متصرف لبنان — الاحتلال الفرنساوي — اجتماعنا بالاميرال فرني وحديثنا معه ومع القومندآن هامون

ونُقل اسماعيل حقي بك متصرف لبنان من منصبه الى منصب ولاية بيروت وسلّم محاسبيجي الجبل ادارة احكام المتصرفية يتعاطاها بالوكالة الى ان تعيّن الاستانة متصرفاً جديداً

ولم يكن اسماعيل حقي دموياً مثل سلفهِ فاجتهد بتخفيف الضيق عن الاهالي علَى قدر ما كانت تسمح له الظروف . وفي عهده القصير المدة هبطت قليلاً اسعار الحاجيات وتناقص ايضاً عدد ضحايا الجوع والشقاء

وفي منتصف شهر آب ورد نباء برقي من الاستانة الى مركز متصرفية لبنان مآله ان الحكومة التركية عينّت ممتاز بك افندي متصرفاً على الجبل خلفاً لاسماعيل حقي بك . وفي ٢٦ منه احتفل في بعبدا بتلاوة الفرمان السلطاني بتعيين ممتاز المذكور متصرفاً بحضور المامورين واعيان الجبل بالملابس الرسمية وأُجريت المراسم المعتادة في مثل هذه الحفلات

وفي الايام الاخيرة من شهر ايلول كانت تردنا الاخبار المتكاثرة منبئةً بتقدم الانكليز وحلفائهم في جهات فلسطين وفي القسم الجنوبي من سوريا (عمان والسلط ومعان)

ومن جراء عطل المواسم في تلك السنة كانت الحبوب بانواعها قليلة جداً وكنا لا نشك بفناء البقية الباقية منا اذا ظلّت رحى الحرب دائرة في الشتاء المقبل · ولم يكن في بيت احدٍ منا رطل من القمح او قليل من باقي حاجيات المعيشة وكنا جميعاً اصبحنا بلا كسوة · ولا مال لنـا نشتري به اقمشة تقينا من البرد وفتكاته · · · · وانتعشت ارواحنا عند سماعنـا بتقدم الحلفاء السريع وبانتصاراتهم المتواصلة عَلَى جماعة الاتراك والالمان · وبتنا ننتظر بناهب الصبر وصول طلائع الانكليز والفرنساويين الينا حتى تنفرج تلك الازمة الشديدة التي اذاقتنا امرّ الاهوال في سنوات الحرب الطاحنة · وفي تلك الاثناء أُقفلت في كل بلادنا مصارف الالمانيين والنمساويين وسائر الدوائر التي تتعلق بهم وأخذوا يبيعون اثاثهم وكل حوائجهم بابخس الاثمان وفرّوا هاربين بالمئات والالوف

وفي ليل اليوم الثامن والعشرين من ايلول اجتمع اسماعيل حقي برئيس بلدية بيروت وبعض وجهائها وموظفيها وسلّم رئيس البلدية ادارة الاحكام وفي الصباح ركب سيارته مغادراً ربوعنا الى ما شاء الله

وفي اليوم التاسع والعشرين من ايلول المذكور فتح ممتـاز بك متصرف لبنان صندوق النافعة وسرق ما وجده فيه وكان يبلغ عشرة آلاف ليرة تركية · سرق هذا المبلغ من حكومة الجبل وفرّ هارباً

وفي صباح اليوم الاول من شهر تشرين الاول هنـأ كل منا صديقه

بالسلامة و بتقلص ظلّ الاتراك من هذه البلاد . وفي اليوم نفسه أُعلنت في بيروت ولبنان الحكومة العربية التي لم يطل عهدها اكثر من يومين ونصف

وعند مطلع شمس اليوم السادس من ذاك الشهر (تشرين الاول) رأينا في عرض البحر بواخر منقذينا الحلفاء تشق عبابَ اليمّ وعلى سواريها الاعلام الافرنسية والانكليزية . وما هي الا هنيهة حتى دخلت ميناء بيروت تحمل لنا الورقة الخضراء دلالة عَلَى اننا نجونا من اخطار ذاك الطوفان الدموي الذي عمّ شره العالم بامره . فدقت اجراس الفرح في لبنان و بيروت . و بعد دموع الحزن والشقاء قطرت من عيوننا دموع الفرح والرجاء

وفي ذاك اليوم الميمون الطالع ازدحم القوم عَلَى ارصفة الميناء في بيروت ازدحاماً هائلاً . وكان كلهم يريد ان يشاهد بأُمّ عينهِ تلك البواخر ومن عليها من اولئك الابطال الذين انتصروا بشجاعتهم وحذقهم عَلَى الهمجية وكسروا شوكة الاستبداد والعجرفة

و بعد ظهر ذلك النهار نحو الساعة الثالثة نزل الى البر كُلّ من الاميرال الفرنسوي فرني (Varney) ورئيس اركان حربه القومندان (Hamon) فهتفت لهما الجموع المتألبة على ارصفة المرفأ منادية باعلى الصوت : لتحيا فرنسا ! لتحيا فرنسا ! وقد زرغطت لهما النساء الزراغيط المفرحة المتنوعة ومن جملة تلك الزراغيط لم يزل يرنّ في اذاننا صدى زرغوطة أَلفتت آنئذٍ كلّ الانظار وهي :

ياما قعــدنا عَلَى الحصــير　　ياما اطعمنا السلطان خبز شعير
ياما قالوا فرنســا ما بتصير　　صارت غصباً عن الكبير والصغير

وقد تسنى لنا رغماً عن تألب القوم ان نحييهما بالسلام فردَّ علينا الاميرال السلام باللطف والبشاشة وتكرّم فسألنا عَلَى مسمع من القوم قائلاً : « أأنت كاهن ماروني — نعم سيدي . — اهلاً بصديق فرنسا . كيف احوالكم ؟ — كنا بالف ويل . وبعد وصولكم الينــا صرنا نعلّل النفس بالخير والسلامة وراحة البال »

ومن جرّاء الازدحام الشديد لم يتمكن الاميرال ورئيس اركان حربه من ان يخطوا خطوة واحدة فاضطرّا ان يرجعا الى دارعتهما وكنت بمعيتهما . فطلب اليَّ القومندان ان اقصَّ عليهِ بعض حوادثنا في تلك الازمنة الهائلة فاجبت : « ذلك مولاي مما يقتضي له الوقت الطويل . » قال : « لا بأس افدنا موجزاً عَلَى الاقل عن الغلاء والشقاء والمجاعة في لبنان . فقد كنا نقرأُ في الجرائد عن احوال جبلكم المحبوب من ابناء فرنسا اشياء غريبة في بابها لم تذكرها تواريخ العالم منذ ابتداء الخليقة حتى هذه الساعة . » قلت : نحن لم نطلّع على تلك الجرائد لنعرف اذا كانت تسرد الحوادث كما وقعت . ويمكنني ان اقول لك ان أقلام الكتبة المجيدين والسنة العلماء النابغين لا تتمكن من وصف ما لاقينا من الاهوال والنكبات التي تشيب لذكرها الاطفال . واني ساعٍ لنشر كل ما علق بذهني من تلك الحوادث ضمن كتابٍ عربي اوزّعه عَلَى اخواننا في

المهجر كي يطلعوا عَلَى حقيقة ما جرى في وطنهم المنكوب . » وعند الساعة الخامسة ودّعت الاميرال والقومندان وعدت الى البر

ضرب رياق وانهزام موءخرة الجيش الالماني

الحكم الفرنساوي في ولاية بيروت وفي لبنان

وعند الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم الواقع في ٢٩ ايلول حلقت طيارات الحلفاء فوق رياق فامطرت قنابلها عَلَى مستودعات الذخائر العسكرية وكانت ملأى بانواع المؤن . فلم تبقِ منها ولم تذر . وسُمع دوي تلك القنابل من الاماكن البعيدة فهلعت القلوب في بادئ الامر اذ لم يكن عُرف بعد سبب ذلك (١)

وعندما تحقق الالمانيون انه قضي عليهم بالانكسار والفرار من وجه اعدائهم جمعوا قواهم وساعدوا الطيارات باحراق المؤن العسكرية فاضرموا النار في كل جهة فالتهمت كل غالٍ وكل رخيص . وتراكض مجاورو رياق الى محل الحريق ليفهموا الحادثة وبدأوا بنهب كل ما وصلت اليه يدهم وكان في مقدمة الناهبين الشقي المشهور ملحم قاسم وجماعته اللصوص . وقد وُجد في رياق

(١) وفي عصر ذلك اليوم زلزلت الارض زلزالاً عظيماً ارتجت لهوله البلاد من اقصائها الى اقصائها

كمية وافرة من بالات الحرير كان جمعها جمال باشا من تجار البلاد السورية الذين يتعاطون التجارة بهذا الصنف فباعها للالمان وكانوا مزمعين ان يشحنوها الى بلادهم .

وفي اليوم ذاته انهزمت مؤخرة الجيش الالماني الموجودة في بيروت وضواحيها بعد ان رمت في البحر كل المؤن والمواد الغذائية والحربية ولم تتمكن من اخذ شيء من كل ذلك . واثناء انهزام الالمان والاتراك في الداخلية اصلاهم الحلفاء ناراً حامية فأفنوا منهم عدداً غير قليل . وظل الحلفاء يواصلون تقدمهم في كل النواحي واعلام الانتصار ترفرف فوق رؤوسهم وقلوبنا ترقص فرحاً لوصولهم الينا وقد احرزوا بشجاعتهم ظفراً مجيداً يسطره لهم التاريخ مخلداً وانقذونا من ذاك النير الثقيل الذي رزحت تحته بلاد سوريا السنين والاجيال

وفي اليوم الحادي عشر من شهر تشرين الاول وصل الى بيروت الكولونيل الفرنساوي دي بياباب (De Piépape) فاعتلى منصة الاحكام في المنطقة الشمالية (والآن الغربية) من الاراضي السورية المحتلة واقام على لبنان حاكماً عسكرياً ادارياً . وفرّق الكولونل ضباطه وجنوده في احياء بيروت يتفقدون شؤون الشعب و ينظرون في احتياجاته ويتداركونه بجميع اسباب التأمين على الحياة .

وفي بادئ الامر التفت الى حالة المعيشة وكانت اسبابها معدومة كما لا يخفى على احد فانشأ الملاجئ ومستودعات الحبوب ولجنة الاعاشة لمقاتلة المجاعة التي كانت تقتل لبنان وبيروت في العهد البائد .

وكان اولئك الضباط الرحماء والجنود الرقيقو الشواعر يلتقطون الجياع اعراة من الساحات والشوارع ويطعمونهم ويكسونهم · ووزعوا الاكل والكسوة عَلَى البيوت المستورة التي اخنى عليها الدهر · وعينوا نحواً من ثلاثمائة شخص لخدمة مصلحة الاعاشة وملأُوا المطاعم والملاجئ والمستشفيات والمدارس ودور الصنائع من جميع المواد الغذائية · وما عدا ذلك فان لجنة الاعاشة وزعت في بيروت وحدها في شهر تشرين الثاني وشهر كانون الاول وشهر كانون الثاني مليونًا وعشرين الفًا وخمسمائة كيلو من الطحين ومائتين وتسعة واربعين الفًا ومائة وخمسين كيلو من الارز · وهذه الكميات المذكورة قد أُعطيت مجانًا لطبقتي الشعب الفقيرة والوسطى ·

وقد توزعت الكميات الكبيرة عَلَى فقراء صور وصيدا ومرجعيون وطرابلس ونواحيها ·· وقد نال لبناننا اضعاف ما نالته بيروت من الحبوب وانواع المواد الغذائية

ولما استتب للحكومة المحتلة تخفيف الضائقة عن الشعب البائس عكفت عَلَى اصلاح كل الشؤون فضربت عَلَى ايدي المحتكرين الظالمين بتعيينها الفئات للمواد الغذائية واهتمت بأمر المعارف مخصصة مبلغاً كبيراً من المال لينفق في هذا السبيل وانشأت المدارس الابتدائية في جميع النواحي معينةً الرواتب الكافية للمعلمين والمعلمات

ومما يجدر ذكرهُ ان الكولونيل دي بياباب تبرّع بمبلغ الف ليرة انكليزية

عَلَى فقراء بيروت وعَلَى اليتامى الموجودين في ملاجئها

ولم تزل عين الحكومة المحتلة ساهرة يقظة عَلَى راحة الاهلين الامر الذي ضاعف محبة شعبنا لتلك الدولة الافرنسية نصيرة الضعيف ومحرّرة الشعوب

كيف ساعدوا لبنان متى انتصرت بقية ابنائه على الجوع

ضُرب طبل الحرب وسُدّت البحار والبرور بوجه اللبنانيين وثقلت وطأة المظالم عَلَى نفوسهم واستحكمت حلقات ضغطها عَلَى خناقهم ففقدوا نسمةً يتنفسون بها الصعداء

لم يكن اللبنانيون يحسبون لتلك الحرب حساباً ليتداركوا ويلاتها وشرورها بادّخارهم الاموال اللازمة والمؤن الكافية

داست ارض لبنان اقدام الاتراك فكثرت فيها مساوئهم وتعدياتهم وملأوا ذاك الجبل جوراً وفجوراً كما ابنا · وجاءنا الجراد بجحافله الهائلة فظل نحواً من ماية يوم يفتك بحقولنا وكرومنا ومروجنا واحراشنا فلم يبقِ ولم يذر

وما طوينا السنة الاولى من تلك الحرب المشؤومة حتى فرغت جيوبنا من المال (ما خلا جيوب القليلين من اغنيائنا) فكثر في لبنان عدد الفقراء واصحاب الفاقة ممن اخنى الدهر عليهم · وفي ذلك الزمن العصيب ضيقت الحكومة البائدة عَلَى البيروتيين في مسألة التجنيد تضييقاً شديداً للغاية فساقت

الى ساحة القتال من ساقت من طبقة الشعب الفقيرة التي لم يكن بوسعها ان تدفع بدلاً عسكرياً و بواسطة حيلة ذلك البدل العسكري اختلست كل فلسٍ من جيوب الطبقة الوسطى وهكذا تساوى اللبنانيون والبيروتيون في حالة الشقاء والمسكنة ·

ورأى بطريرك الموارنة ان المجاعات والاوبئة دبت بالرعية فتحركت عوامل الرحمة في قلبه الابوي فأمر بفتح ابواب المقام البطريركي بوجه الشعب البائس فكثر عدد الذين كانوا ينسلون من بيروت ولبنان الى ذاك المقام طلباً للمساعدة · وحذا حذوَ البطريرك اصحاب السيادة مطارنة الطائفة المارونية فأسسوا المطاعم في الكراسي الاسقفية ووزعوا على المعوزين وعلى ارباب العيال المستورة مبالغ المال الطائلة · ومما يجدر ذكره ان سيادة المطران انطون عريضه رئيس اساقفة طرابلس ظلّ يعطي الفقراءَ ويوزع الحاجيات عَلَى البائسين الى ان ادّى به الامر الى بيع صليبه الذهبي وسلسلته الثمينة في سبيل مساعدة ابناء ابرشيتهِ ·

وبذل رؤساء بقية الطوائف كل جهدٍ تخفيفاً لويلات الفقراء من مرؤوسيهم

ولا يخفى ان المرسلين الاميركان اقاموا في بيروت وفي بعض قرى لبنان وفي نواحي صور وصيدا عدّة مؤسسات خيرية لاطعام الجياع وكسوة العراة وتوزيع المواد المتنوعة عَلَى الكثيرين من ارباب العيال المستورة

وازدادت فتكات الامراض بالشعب وتفاقم شر المجاعة من جراء ظلم الحكومة العسكرية التي كانت بين مدة واخرى تقطع ورد الحبوب عن اللبنانيين والبيروتيين وضاقت ذات اليد في المقامات التي اشرنا اليها فحزن لذلك اربابها حزناً وآلم قلبهم ما حل ببلادهم من الخراب وما آل اليه الشعب من الفناء · واذ ذاك تحركت عوامل المحبة الوطنية في قلب صاحب الغيرة والمروءة

✻ الخوري بولس عقل [1] ✻

احد كتبة الديوان البطريركي · فأخذ يدأب في استنباط الوسائل التي تمكنهُ من تفريج الغمة عن صدور البقية الباقية من اللبنانيين فحمل نفسه عَلَى المعاطب والمهالك وتمكن من الوصول الى جماعة الافرنسيين الذين كانوا قد استولوا عَلَى جزيرة ارواد · فاطلعهم عَلَى ما نكب به اللبنانيون والسوريون من الجوع والوباء ومظالم الاتراك · والتمس من حاكم تلك الجزيرة ان يفهم حكومته في باريس عن شقاء حال بلادنا فلم يتأخر الحاكم المذكور عن اجابة ملتمس الخوري وتبرعت آنئذ الحكومة الافرنسية عَلَى فقراء لبنان وسوريا بمبلغ ١٦ الف ليرة توزعت من يد الخوري في المقام البطريركي

ولما رأى الخوري بولس ان المبلغ الذي ارسلته فرنسا الى منكوبي لبنان وسوريا لا يكفي لمقاتلة الجوع ومداواة الادواء التي ألمت بالبلاد من جراء ضروب الشقاء كتب الى سيادة المطران يوسف دريان النائب البطريركي في

(١) سيم مطراناً مكافأةً له على اتعابه في سبيل خير البلاد

القطر المصري يطلعه عَلَى حالة لبنان التعيسة و يبين له شدة الاخطار التي كانت تتهدد حياة البقية الباقية من شعبه المسكين والتمس منه ان يرفع نداءه الى اخواننا المهاجرين المنبثين في كافة اقطار المعمور ليبادروا الى تخفيف الضائقة عن المنكوبين في هذه الاقطار التاعسة

وما قرأ سيادة المطران دريان رسالة الخوري بولس حتى تفطر قلبه حزناً عَلَى وطنه وكتب الى الخوري كتاباً فيهِ يهدئ اضطرابهُ ويسكن خاطره واعداً انه لا يتأخر دقيقة عن بذل كل غالٍ ونفيس في سبيل جمع الاعانات وارسالها الى لبنان بواسطته

وتبادلت الرسائل بين المطران وبين الخوري بفضل الدوارع الافرنسية التي كانت تتنقل بين ارواد والقطر المصري

وقبل وصول رسالة الخوري الى المطران كان هذا الاخير اطلع بدهائه عَلَى ما كان يجري ببلادنا من المظالم وما ينتابنا من الآفات والنكبات فاتفق مع كبار الافرنسيين المقيمين في القطر المصري عَلَى ارسال الاموال التي كان يجمعها المطران من سائر الجهات عَلَى ظهر الدوارع الافرنسية وقرَّ قرارهم عَلَى ان تسلّم تلك الاموال الى الخوري بولس فيوزعها عَلَى من يلزم

ولم يكن المطران دريان بحاجة لان يكتب اليه رسالة توصية بابناء وطنه المنكوبين . فمنو الذي عاشر ذلك الشهم الهمام ولم يعرف ما فُطر عليهِ من رقة الشواعر والغيرة الوطنية ! او منو الذي عرفه ولم يدرك ما امتاز به من النشاط

وعلو الهمة ؟ فانه اجزل الله ثوابه ومنحه اطول الاعمار قتل كل اوقاته في ابان الحرب في سبيل خدمة جبل لبنان ودفع البلايا والنكبات عمّن بقي من ابنائه . كان صوته يملأ الخافقين وقلمهُ يخطّ الفواجع ويفيض الدموع من اعين اخواننا في المهجر فجمعوا مبالغ المال العظيمة وارسلوها الى ذويهم عَلَى يده . وتشكلت عدّة لجان في الاماكن المختلفة فجمعت الاموال الطائلة التي ارسلت الى لبنان بواسطة المطران دريان . ويبلغ المال المرسل الى بلادنا بفضل مساعي السيد دريان نحواً من مليوني فرنك . وكانت اكثر تلك الاموال تسلّم الى الخوري بولس بواسطة الدوارع الافرنسية التي أشرنا اليها قبلاً وكان الخوري يعطي وصلاً باستلامها ويوزعها

ومن الذين لبوا نداء ذاك السيد المقدام نخص بالذكر شخصاً جليلاً ينتمي الى أُسرة من الاكارم اشتهرت في كل آنٍ وأين بالاحسان وعمل المبرات . وهذا الشخص هو

✵ الاباتي لويس الخازن (١) ✵

الذي تبرّع من جيبه الخاص بمبلغ من المال فاق كل ما جادت به يد في سبيل مساعدة لبنان

وبغيرة من ذكرنا ظلّت الاموال ترد من المهجر الى هذه الديار وتوزّع عَلَى اربابها وعَلَى المحتاجين ولرباب العيال المستورة بواسطة المقام البطريركي

(١) سيم مطراناً مكافأةً على حسناته في سبيل الوطن . واتخذ لسيادته اسم يوسف

الى يومٍ فيه اقبل الينا منقذونا الحلفاء ·
وهكذا انتصرت بقية اللبنانيين عَلَى الجوع ونجت من الموت "[1].

شكوى لبنان في آلامه

الكلام الذي قاله لبنان في شدة نكباتهِ في الحرب العمومية

انا لبنان الطائر الشهرة من تسابق الانبياء والحكماء في وصف عظمتي ومن تغنى الشعراء وتغزلوا في جمالي ومن عرف القاصي والداني مجد ارزي وعذوبة مائي وجودة هوائي ·

كنت فيما مضى ناعم البال قرير العين اقضي ليالي الشتاء امام الموقد أقي جسمي من البرد واعيش في الصيف بين شجر الارز وشجر الصنوبر تظللني اوراقها الخضراء واغصانها الكثيفة ·

وكانت الاطيار تتنقل من غصن الى غصن تطرب مسامعي بشجي تغاريدها· وقضي عَلَى الكثيرين من ابناء شعبي ان يغادروني الى الاصقاع الشاسعة

(١) ومن الذين ساعدوا الشعب كل المساعدة نخص بالذكر :
الاب جبرائيل الشمالي العشقوتي نائب عام الرهبنة الحلبية المارونيّة
المونسنيور بشاره الشمالي الوكيل الاسقفي في الشام
الخوري حنا اسطفان رئيس مدرسة عين ورقاه
الاب انطونيوس الحفدي رئيس دير ميفوق

حيث تشتتوا وصرفوا همهم الى العمل والارتزاق ·

ومن ساعدتهم الاحوال أثرَوا وعادوا اليَّ يحملون الكنوز الثمينة فشيدوا عَلَى روابيَّ القصور والدور ·

وغرّهم الطمع بكسب الاموال الجديدة فرجعوا الى حيث كانوا

ومن وراء البحار كانوا يرسلون حيناً بعد آخر مالاً يقوم بأود عيالهم

وابنائي الذين لم يهجروني ظلوا يواصلون السعي في اراضيَّ وراء كسب معاشهم ومعاش ذويهم

وكنت زاهياً زاهراً بجناتي الغناء وغاباتي النضرة ومروجي الخضراء

وكانت سهولي وروابي ترقص في ليالي العيد من طرب الدفوف وطرب الكنّارة وهتاف المرحين ·

وكان فتياني ابطالاً اشدّاء وعذاراي ابيّات النفوس يزين الشرف بهاءهنَّ والعفاف جمالهنَّ ·

وكانت معاهد العلم والادب في ربوعي عامرة يزدحم فيها الطلاب التقاطاً لدرر العلوم والمعارف ·

• • • •

وسخط الرب عَلَى ممالك اوربا فقامت شعوبها تتطاحن في ساحات الوغى سافكة دماء ابنائها في سبيل ما يسمونه « حب الوطن » ·

وجعل الله غشاوة عَلَى بصر زعماء الاتراك فرموا بدولتهم المسكينة داخل

ذاك الطوفان الدموي ·

وداسوا كل عهدٍ ومزقوا كل نظام فاحتلت جنودهم ارضي واقاموا في سواحلي المخافر وعلى روابيَّ الاستحكامات واحاطوا بي كنواطير الحقول ·

وكثرت مساوئهم ومظالمهم في كل ناحية من نواحيَّ ·

ومن اطرافي الى اطرافي فرّقوا جماعة الوشاة وجماعة الجواسيس فاتهموا الكثيرين بمختلف التهم الكاذبة ·

وكان انهم سجنوا الابرياء ونفوا الاذكياء وعلقوا من لا ذنب لهم على اعواد المشانق ·

كلّت عينايَ الدموع وجاشت احشائي من اجل اولئك الشهداء الابطال فازدادت قلوب الظلام قساوةً فقطعوا الزاد عن جميع ابنائي كي يميتوهم جوعاً ·

وسُدّت البحار بوجهي فانقطع بذلك عن شعبي كل وارد وكل عضد وكل فلسٍ من المهجر ·

واحسرتاه! باع ابنائي كل ثمين عندهم وكل رخيص وتركوا منازلهم وتشتتوا في الامم التي لم يعرفوها فيما مضى ·

وملأوا سهول البقاع وبعلبك وكل الجهات البعيدة : من صحراء الشام الى جبل حوران الى شط الفرات ·

ودبّت بهم الامراض والاوبئة فطُرحوا في الازقة والشوارع وفي السهول والاودية وفي الغابات والاحراش · لا من يندبهم ولا من يدفنهم ·

وتجمّعت جميع وحوش الصحراء وطير السماء فمزقت لحمانهم وأبقت عظامهم عاراً ومثلاً واحدوثةً في جميع ممالك الارض ·

ويلي · قد انكسر قلبي في داخلي ورجفت كل عظامي : قتلت الامراض ابنائي فاضحى اطفالي يتامى وبناتي ارامل وثكالى ·

من لرأسي بمياه ولعينيَّ بينبوع دموعٍ فابكي نهاراً وليلاً عَلَى قتلى بني شعبي ·

من يشفق علي انا الشيخ المسن ومن يرثي لي ومن يميل ليسأل عن سلامتي ·

ارثوني ياجميع الذين حولي وجميع الذين يعرفون اسمي ·

أَلم يبلغكم يا جميع عابري الطريق · تأملوا · هل من وجعٍ كوجعي الذي اصابني ·

الرأس كله مريض والقلب بجملتهِ سقيم ·

من اخمص القدم الى الرأس لاصحة فيه بل كلوم وحبط وجراحةٌ طريئة لم تُعصر ولم تُعصب ولم تُلين بدُهن ·

ابنائي الذين اموّا السهول الخصيبة والربوع الغنية تملصاًمن الجوع وفتكاتهِ ماتوا بالاوبئة · والذين ظلوا في منازلهم سدت بوجههم كل طرق الارتزاق وقُطعت عليهم جميع السبل ·

لهفي عَلَى الجبابرة ! لهفي عَلَى الابطال والمردة ! اختطف البرد والجوع ارواحهم الطاهرة فطرحوا هنا وهناك عراة حفاة فرائس للبوم والغربان ·

أَسفي عَلَى الاسود والنمرة ! هزلت اجسامهم من الجوع فماتوا بالعشرات ضمن مرابضهم وآجامهم ·

مات الاب فوق ابنه والام فوق ابنتها والاخ فوق اخيه والاخت فوق اختها ·

لهفي عَلَى تلك المنازل ! اصبحت مدافن لما لا يحصى من الجثث المكردسة المطروحة جنباً الى جنب ·

دُكت منازلي وأُغلق كل بيتٍ عن الدخول · بقي الخراب في تلك المنازل ورُميت ابوابها بالردم ·

اقتطعوا كل شجر من ارضي فزال مني كل بهائي واصبح منظري حزيناً ·

ساد في ارضي السكوت وبطل في سهولي وعَلَى روابيّ طرَب الدفوف وطرب الكنّارة ·

بيعت جواريّ برغيف من خبز الشعير و بناتي بكسرة من الخبز الاسود ·

ونفر ابنائي القليل الذين نجوا من مخالب الموت اصبح بهاؤهم أَ كلح من الظلام ولصقت جلودهم بعظامهم و يبست كالخشب ·

تاهوا في البلاد يستعطون ويأْ كلون حشيش الارض وورق الشجر ·

ويلتقطون من عَلَى الطرقات والساحات ماوقعت عليه ابصارهم من قشور الفاكهة

لم يوفروا قشر الصبير وشوكه وتهللوا لما تسنى لهم ان يمتصوا ما رماه خدم الاغنياء تحت منافذ الدور والقصور من العظام وقشر السمك وحسكه ·

اسفي عليهم التقطوا الحب من فم النمل ومن براز البغال والحمير ٠

اسفي عليهم ! أكلوا الجيف المنتنة ٠ أكلوا لحم بنيهم وبناتهم ٠

لهفي عَلَى تلك المعاهد والنوادي التي كانت تهذب المئات والالوف من ابناء شعبي وترضعهم البان العلم والادب ٠

اغتصبها السفاحون وجعلوها مآوي لاطفالي ٠

لهفي عَلَى اولئك الاطفال الانقياء ! لهفي عَلَى اولئك الملائك الاطهار ! سجنهم الاتراك في تلك المعاهد وقطعوا عنهم الاكل وقالوا لهم : هذه قبوركم يا ابناء الجبابرة ! هذه مدافنكم يا ابناء المردة ! موتوا غير مأسوف عليكم ولا عَلَى احدٍ ممن سبقكم من ابائكم واخوانكم ! موتوا كما مات من قبلكم مائتان وخمسون الفاً من ابناء جبلكم !

كان يقال قديماً : هنيئاً لمن له مرقد عنزة في لبنان ٠

هلموا الآن يا جميع الذين يعرفون اسمي ٠ تعالوا انظروا ما عملته فيَّ رصاصة برنسيب الفوضوي ٠

يا ليت تلك الرصاصة اصابت صدر طلعت وانور وجمال وعزمي وعلي منيف قبل ان احتلت جنودهم اراضيَّ

يا ليت تلك الرصاصة اصابة صدر كل من انزل سوءًا با بنائي ٠

. . . .

وخاتمة كلامي دعائي الى ربي ان يسكب غيوث مراحمه عَلَى تراب كلٍ

منكم يا ابنائي الاعزاء شهداء تلك الحرب المشؤومة وان يجلس جميعكم في حضن ابرهيم خليله مكافأة لما تحملتموه من انواع الظلم والشقاء وان يوفق مسعى كل من بقي حياً من اخوانكم وان يعيد الي سالماً غانماً كل فردٍ من ابنائي المهاجرين فيعمرون ما درس من ربوعي وما تخرب من منازلي ويكثر نسلهم كعدد رمل البحار ويجددون مجد آبائهم فيعود الشعراء يتغنون ببهائي وبعظمة ارزي ورقة نسيمي فتتجدد بذلك قواي وتعود الي نضارة شبابي ويتقوم ظهري الذي انحنى من ثقل النكبات والسنين وافرح عندما اسمع وارى ان الشرق والغرب والشمال والجنوب رجعوا يرددون ذاك المثل القائل : « هنيئاً لمن له مرقد عنزة في لبنان »

وقعت بعض اغلاط لا تخفى على فطنة القارىء اللبيب

هذا وانا نفيد الجميع انا وضعنا كتاباً عنوانه : « زعماء لبنان ومساوئهم قبل الحرب وفي زمن الحرب » وسننشره بالطبع متى أجاز لنا ذلك قلم المراقبة ·

فهرست الكتاب



